

الباب السادس

أطباء العصر الأيوبي

من ٥٧٠ إلى ٦٤٨ هـ

من ١١٧٤ إلى ١٢٥٠ م

مقدمة الباب الخامس

كان الأيوبيون ميالين إلى نشر العلم، وعضدوا وساندوا العلماء والأطباء، من المسلمين وغير المسلمين، واهتموا بإنشاء البيمارستانات. وقد أنشأ صلاح الدين البيمارستان الناصري أو الصلاحي. وقد قال القاضي الفاضل في متجددات سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م : « أمر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بفتح مارستان للمرضى والضعفاء وأختير مكاناً بالقصور، وأفرد برسم من جملة الرباع الديوانية، مشاهرة مبلغها مائتا ألف دينار وغللت جهتها الفيوم واستخدم له أطباء وكحالين وجراحين وشارفاً وعاملاً وخداماً ووجد الناس به رفقا وبه نفعا».

ويقول ابن جبير عند زيارته للقاهرة سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م وذلك في عهد السلطان صلاح الدين : « ومما شاهدناه في مفاخر هذا السلطان، المارستان الذى بمدينة القاهرة وهو قصر من القصور الرائعة، حسناً واتساعاً. أبرزه لهذه الفضيلة تأجراً واحتساباً، وعين قيماً من أهل المعرفة وضع لديه خزائن العقاقير ومكنه من استعمال الأشربة وإقامتها على اختلاف أنواعها، ووضعت فى مقاصير ذلك القصر أسيرة يتخذها المرضى مضاجع كاملة الكسى. وبين يدى ذلك القيم خدمه يتكلفون بتفقد أحوال المرضى بكرة وعشية، فيقابلون من الأغذية والأشربة بما يليق بهم. وبإزاء هذا الموضع موضع مقتطع للنساء المرضى. ولهذا أيضاً من يكفلهن ويتصل بالموضعين المذكورين موضع متسع الفناء فيه مقاصير عليها شبابيك من الحديد اتخذت مجالس للمجانين. ولهم أيضاً من يتفقد فى كل يوم أحوالهم ويقابلها بما يصلح لها. والسلطان يتطلع هذه الأحوال كلها بالبحث والسؤال ويؤكد فى الاعتناء بها والمثابرة عليها غاية التأكيد».

ومن الأطباء الذين عملوا فى هذا البيمارستان: رضى الدين الرحبى، إبراهيم بن الرئيس ميمون، وموفق الدين أبو العباس ابن أبى أصيبعة،

والشيخ السديد بن أبي البيان صاحب الدستور البيمارستاني ، والقاضى نفيس الدين بن الزبير.

وقد ذكر المقرئى أن السلطان صلاح الدين سار إلى الإسكندرية فى السابع عشر من شوال سنة ٥٧٧ هـ، ودخلها فى الخامس والعشرين من شهر شوال وشرع فى قراءة الموطأ، وأنشأ بها بيمارستانا وداراً للمغاربة ومدرسة على ضريح المعظم توران شاه.

وقد كان كثير من الأطباء من النصارى واليهود، وقد نعموا جميعاً برعاية الأيوبيين وحمايتهم.

وفى عصر الأيوبيين كان فى مصر من الأطباء من خلد ذكرهم، خاصة بما خلفوا من مصنفات واكتشافات وإضافات علمية جديدة. ويذكر التاريخ ابن النفيس واكتشافه للدورة الدموية الصغرى، وعبد اللطيف البغدادى الذى دون ملاحظاته القيمة على ماكتبه جالينوس عن العظام البشرية، وابن البيطار العشاب الشهير وما أضافه من معلومات إلى النباتات الطبية والعقاقير، والكحال بن القضاى وابن الزبير وغيرهم.

وعلى رغم قصر الفترة التى حكم فيها الأيوبيون مصر، والتى لا تزيد على ٧٦ سنة، فإن العدد الكبير من الأطباء والعشابين الذى سجله لنا التاريخ، ومؤلفاتهم التى طبع بعضها وكثير منها مازال مخطوطاً، كل هذا يدل دلالة واضحة على ما اتسم به عصر الأيوبيين من مساندة للعلم والعلماء، مما أدى إلى ازدهار الفكر والعلم والمعرفة.

الموفق بن شرعة

ت ٥٧٩ هـ / ١١٨٤ م

إسرائيلي مشهور بإتقان الصناعة وجودة المعرفة في علم الطب والكحل والجراح، خدم الملك الناصر صلاح الدين بالطب لما كان بمصر. وكان دمثاً خفيف الروح كثير المجون، يشعر ويلعب بالقيثارة. وقد مات بالقاهرة سنة ٥٧٩ هـ^(١).

أبو البيان بن المدور

ت ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ - ١١٨٥ م

لقب بالسديد، وكان يهودياً قراء عالمًا بصناعة الطب، حسن المعرفة بأعمالها، وله مجربات كثيرة، وآثار محمودة. وخدم الخلفاء الفاطميين في آخر دولتهم، أي أيام العاضد (سبق الحديث عنه في هامش) ويعد ذلك خدم الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي. وكان يرى له ويعتمد على معالجته. وله فيه حسن ظن وكانت له الجامكية^(٢) الكثيرة والافتقار المتوفر^(٣).

وعمر الشيخ أبو البيان بن المدور، وتعطل في آخر عمره من الكبر والضعف، من كثرة الحركة والتردد إلى الخدمة، فأطلق له الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي رحمه الله في كل شهر أربعة وعشرين ديناراً مصرية تصل إليه ويكون ملازماً لبيته، ولا يكلف خدمة. وبقي على تلك الحال وجامكيته تصل إليه نحو عشرين سنة. وكان في مدة انقطاعه في بيته لا يخل بالاشتغال في صناعة الطب، ولا يخلو موضعه من التلاميذ والمشتغلين عليه، والمستوصفين منه. وكان لا يمضي إلى أحد لمعالجته في تلك المدة إلا من يعز عليه جداً، ويقول ابن أبي أصيبعة (٣ / ١٩١): ولقد بلغني عنه من ذلك أن الأمير بن منقذ لما وصل من اليمن، وكان قد عرض له استسقاء بعث إليه ليأتيه ويعالجه بالمعالجة، فاعتذر إليه على قرب موضعه منه ولم يمش إليه، وبعث إليه القاضي الفاضل وكيله ابن سناء الملك^(٤)، وقصده في ذلك حتى مضى إليه ووصف له ما يعتد عليه في مداواة.

(١) ابن أبي أصيبعة ٣ / ١٩٢

(٢) الجامكية: الرواتب والنح

(٣) ابن أبي أصيبعة ٣ / ١٩٠

(٤) هو القاضي السعيد أبو القاسم حبة الله بن القاضي الرشيد أبي الفضل جعفر بن المعتمد سناء الملك أبي عبد الله محمد بن حبة الله بن محمد السعدي، الشاعر المصري المشهور. وقد اختصر كتاب الحيوان للجاحظ وسمى المختصر روح الحيوان، وتوفي في العشر الأوائل من رمضان سنة ٦٠٨ هـ، ويقدر أن يكون مولده في حدود سنة ٥٥٠ هـ، وفيات الأعيان ٦١/٦ - ٦٦

وعاش أبو البيان ابن المدور ثلاثاً وثمانين سنة، وتوفي سنة ٥٨٠ هـ / بالقاهرة. وكان من تلاميذه زين الحساب. ولأبى البيان من الكتب: مجرباته فى الطب.

الرئيس هبة الله

ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م

إسرائيلي فاضل مشهور بالطب، جيد الأعمال، حسن المعالجة، وكان فى آخر دولة الخلفاء الفاطميين، وخدمهم بصناعة الطب، وكانت له منهم الجامكية الوافرة والصلات المتتالية، وبقي بعدهم فى ظل حكم بنى زنكى والأيوبيين، يعيش فيما أنعم به عليه الفاطميون حتى توفي، وكانت وفاته فى سنة خمس مائة ونيّف وثمانين للهجرة^(١).

أبو سليمان داود بن أبى المنى أبى فانه

ت ٥٨٢ هـ / ١١٨٧ م

كان طبيباً نصرانياً بمصر فى زمن الخلفاء، وقد كان يمارس التنجيم والطب فى القدس أثناء حكم الصليبيين فيها (٤٩٠ - ٦٤١ هـ / ١٠٩٦ - ١٢٩١ م) ثم انتقل إلى القاهرة فى أواخر حكم الفاطميين (حوالى سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م) واشتهر فيها بممارسة التنجيم والطب.

ويحكى ابن أبى أصيبعة^(٢) إن الحكيم أبو سليمان فى زمان الخلفاء الفاطميين، وكان له خمسة أولاد، فلما وصل الملك مارى (أحد ملوك الصليبيين) إلى الديار المصرية أعجبه طبعه فطلبه من الخليفة بها، ونقله هو وأولاده الخمسة إلى البيت المقدس. ونشأ للملك مارى ولد فجذم فركب له الترياق الفاروق بالبيت المقدس. وترهب وترك ولده الأكبر وهو الحكيم المذهب أبو سعيد خليفته على منزله وأخوته.

ولما استولى صلاح الدين الأيوبي على مصر فى سنة ٥٦٤ هـ / ١١٧٤ م، ظهر لابن فانه بينما كان يرصد النجوم ذات يوم، أن الملك صلاح الدين سيدخل القدس فاتحاً، فأرسل ابنه أبا الخير إلى مصر ليبشر الملك الأيوبي بهذا الطالع المشرف^(٣). فلما تحقق الخبر وانتصر الملك الأيوبي على الصليبيين. وكان فتح السلطان الملك الناصر صلاح الدين بن يوسف أيوب للقدس فى ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م.

(١) ابن أبى أصيبعة ١٩٢ / ٣

(٢) ابن أبى أصيبعة ٢٠١ / ٣

(٣) ابن أبى أصيبعة ٢٠٢ / ٣

غدا أبو سليمان ابن فانه فى نظر صلاح الدين وآله ، يحمل البركة والنفس الطيبة ، فأحبوه واحترموه وأكرموه ، وآمنوا بفنّه ورفعوا من شأنه ، والتفتوا إلى رعاية أولاده .
وتوفى أبو سليمان بن فانه بعد دخول صلاح الدين الأيوبي إلى القدس . وقد أعقب خمسة بنين ، إمتهم أربعة منهم صنعة الطب التى تعلموها على أيديهم ، أما خامس أبنائه أبو الخير بن أبى سليمان فانخرط فى سلك الجندية لمحاربة الصليبيين - وأصبح ابو الخير طبيباً معروفاً هو رشيد الدين أبو حليقة ، وسيأتى ذكرهم فيما بعد .

أبو الفضائل بن الناقد

ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٩ م

يلقب المذهب ، وهو أبو الفضائل مذهب الدين بن الناقد ، وكان طبيباً مشهوراً ، وعالمًا مذكوراً ، له العلم الوافر والأعمال الحسنة والداواة الفاضلة .

وكان يهودياً مشتهراً بالطب والكحل ، إلا أن الكحل كان أغلب عليه ، وكان كثير المعاش ، عظيم الاستياع ، حتى إن الطلبة والمشتغلين عليه كانوا أكثر أوقاته يقرءون عليه ، وهو راكب وقت مسيره وافتقاده للمرضى^(١) . ومن تلاميذه الشيخ السديد بن أبى البيان .

ويذكر ابن أبى أصيبعة أن والده قال : كان قد أتى إلى أبى الفضائل بن الناقد صاحب له من اليهود وضعيف الحال ، وطلب منه أن يرفده بشىء فأجلسه عند داره ، وقال له : معاشى اليوم بختك ورزقك ، وركب ودار على المرضى والذين يكحلهم ، ولما عاد أخرج عدة الكحل وفيها قراطيس كثيرة مصرورة ، وشرع يفتح واحدة واحدة منها ، ففنها ما فيها الدينار والأكثر ، ومنها ما فيها دراهم ناصرية ، وبعضها فيها دراهم سواد ، فاجتمع من ذلك ما يكون قيمته الجملة نحو ثلاثمائة درهم سواد فأعطاهم ذلك الرجل . ثم قال : والله جميع هذه الكواغد ما أعرف الذى أعطانى الذهب أو الدراهم ، أو الكثير منها أو القليل ، بل كل من أعطانى شيئاً أجعله فى عدة الكحل ، وهذا يدل على معاش زائد وقبول كثير .

وتوفى أبو الفضائل فى سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٩ م ، بالقاهرة ، وأسلم ولده أبو الفرج . وكان طبيباً وكان كحلاً أيضاً .

ولأبى الفضائل بن الناقد من الكتب : مجرباته فى الطب .



داود

ت ٥٩١ هـ / ١١٩٤ م

ويقال له عبد الله الحكيم الفاضل الشيخ السديد أبو منصور بن الشيخ السديد على بن داود بن المبارك الطيب. قرأ الطب على والده وأبى نصر عدلان بن عين زربى وسمع بالإسكندرية من أبى الطاهر إسماعيل بن عوف وانتهت إليه رئاسة الأطباء بالديار المصرية وخدم ملوكها وحصل دنياً واسعة جداً، وتخرج به جماعة. وتوفى فى منتصف جمادى الآخرة سنة ٥٩١ هـ وقيل فى العام الآتى^(١).

الشيخ السديد رئيس الطب

ت ٥٩٢ / ١١٩٥ م

هو القاضى الأجل السديد أبو منصور عبد الله بن الشيخ السديد أبى الحسن على، وكان لقب القاضى أبى منصور شرف الدين، وإنما غلب عليه لقب أبيه وعرف به وصار له علماً بأن يقال الشيخ السديد، وكان عالماً بصناعة الطب خبيراً بأصولها وفروعها، جيد المعالجة كثير الدراية، حسن الأعمال باليد^(٢).

وخدم الشيخ السديد عدداً من الخلفاء الفاطميين، وحظى فى أيامهم، ونال من جهتهم من الأموال الوافرة والتعم الجسيمة مالم ينله غيره من سائر الأطباء الذين كانوا فى زمانه، ولا قريباً منه، وكانت له عندهم المنزلة العليا والجاه الذى لا مزيد عليه، وعمر عمراً طويلاً، وكان أبوه طبيباً للخلفاء الفاطميين مشهوراً فى أيامهم.

ويحكى ابن أبى أصيبعة عن القاضى نفيس بن الزبير^(٣) - وكان قد لحق الشيخ السديد وقرأ عليه صناعة الطب - أنه قال : قال لى الشيخ السديد رئيس الطب: إن أول من مثلت بين يديه من الخلفاء وأنعم على الأمر بأحكام الله^(٤) وذلك أن أبى كان طبيباً فى خدمته، وكان مكيناً عنده رفيع المنزلة فى أيامه.

(١) أحمد عيسى - معجم الأطباء، ١٨٥، وتاريخ الإسلام للذهبي من سنة ٥٨١-٥٩٦ هـ

(٢) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٨٠

(٣) القاضى الحكيم نفيس الدين أبو القاسم هبة الله بن صدقة بن عبد الله الكولى، والكولم من بلاد الهند، توفى

بالقاهرة فى سنة ٦٣٦ هـ

(٤) هو أبو على النصور الملقب بالأمير بأحكام الله بن أبى القاسم أحمد المستعلى بن المستنصر بن الطاهر بن الحاكم العبيدى، ولد يوم الثلاثاء الثالث عشر المحرم وقيل ثانى المحرم سنة ٤٩٠ هـ بالقاهرة. وتولى وعمره خمس سنين، وتوفى الثلاثاء، رابع ذى القعدة سنة ٥٢٤ هـ، وكانت مدة خلافته ثمانية وعشرين سنة وتسعة أشهر وأيام. وفى أيامه قصد بروديل الأفرنجى Baldwin الديار المصرية ليأخذها وانتهى إلى القرما ودخلها وأحرقها وأحرق جامعها ومساجدها. ورحل عنها وهو مريض، فهلك فى الطريق قبل وصوله إلى العرش، فشق أصحابه بطنه ورموا حشوته هناك. فهى ترجم إلى اليوم (أيام بن خلكان)، ورحلوا بجثته دفنوها بقسامه. وسبحة البروديل التى فى وسط الرمل على طريق الشام منسوبة إلى بروديل المذكور، وفيات الأعيان ٥ : ٢٩٩ - ٣٠٢

قال: « وكنت صبياً فى ذلك الوقت فكان أبى يهب فى كل يوم دراهم، وأجلس عند باب الدار التى لنا، وأفصد جماعة فى كل نهار، حتى تمرنت وصارت لى درية جيدة فى الفصد، وكنت قد شدوت شيئاً من صناعة الطب فذكرتنى أبى عند الأمر، وأخبره بما أنا عليه، وأنتى أعرف صناعة الفصد، ولى درية جيدة بها، فاستدعانى فتوجهت إليه، وأنا بحالة جميلة من اللبوس الفاخر، والمركوب الفاره، المتحلّى بمثل الطوق الذهب وغيره. وأنتى لما دخلت إليه القصر مشيت مع أبى حتى صرنا بين يديه فقبلت الأرض، وخدمت فقال لى أفصد هذا الأستاذ، وكان واقفاً بين يديه فقلت السمع والطاعة، ثم جىء بطشت فضة وشددت عضده، وكانت له عروق بينة الظهور فقصدته وربطت موضع الفصادة فقال لى أحسنت، وأمر لى بأنعام كثيرة وخلع قاهرة، وصرت من ذلك الوقت متreddاً إلى القصر وملازماً للخدمة، وأطلق لى من الجارى مايقوم بكفايتى على أفضل الأحوال التى أوصلها، وتواترت على من الهبات والاطلاقات الشىء الكثير.

ويقول ابن أبى أصيبعة: «حدثنى أسعد الدين عبد العزيز بن أبى الحسن أن الشيخ السديد حصل له فى يوم واحد من الخلفاء فى بعض معالجاته لأحدهم ثلاثون ألف دينار. كما يقول: إن القاضى نفيس الدين بن الزبير ذكر أن الشيخ السديد لما ظهر ولدى الحافظ لدين الله^(١) حصل له فى ذلك الوقت من المال نحو خمسين ألف دينار وأكثر من ذلك سوى ماكان فى المجلس من أوانى الذهب والفضة فإنها وهبت جميعها له».

ومما يدل على همته العاليه وإنعامه، ماحكاه الشيخ رضى الدين الرحبى عنه لابن أبى أصيبعة^(٢) قال: لما وصل المهذب بن النقاش إلى الشام من بغداد، وكان فاضلاً فى صناعة الطب، أقام بدمشق لمدة، ولم يحصل له بها ما يقوم بكفايته، وسمع بالديار المصرية وإنعام الخلفاء فيها وكرمهم وإحسانهم إلى من يقصدهم ولاسيما من أرباب العلم والفضل، وتاقت نفسه إلى السفر. وتوجهت أمانيه إلى الديار المصرية فلما وصلها أقام بها أياماً، وكان قد سمع بالشيخ السديد طبيب الخلفاء، وماهو عليه من الأفضال وسعة الحال، والأخلاق الجميلة والمروءة العزيزة فمشى إلى داره وسلم عليه، وعرفه بصناعته، وأنه إنما أتى قاصداً إليه، ومفوضاً كل أموره لديه، ومعتزفاً من بحر علمه ومعتزفاً بأن مهما يصله من جهة الخلفاء فإنما هو من برة، ويكون معتداً له بذلك فى سائر عمره. فتلقيه الشيخ السديد بما يليق بمثله وأكرمه غاية الإكرام، ثم بعد ذلك قال له: كم تؤثر أن يطلق لك من الجامكية إذا كنت مقيماً بالقاهرة؟ فقال: يامولانا يكفينى ما تراه

(١) هو أبو الميمون عبد الحميد، المنقب الحافظ، ابن أبى القاسم محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الناصر بن العزيز بن العزيز المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله. وقد بويج بالقاهرة يوم مقتل ابن عمه الأمر (مر ذكره فى هامش سابق). ولكن أبو على أحمد بن الأفضل شامشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى غلب عليه وبويج ولكن بعد قتله بويج الحافظ مرة أخرى، وقد انحافظ بعسقلان سنة ٤٦٧ هـ، وقيل ٤٦٦ هـ، وتوفى آخر ليلة الأحد لخمس ختون من جمادى الآخرة سنة أربع، وقيل ثلاث وأربعين وخمسائة للهجرة، وفيات الأعيان ٣ / ٢٣٥ - ٢٣٧.

(٢) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٨٢

وما تأمر به. فقال له قل بالجملة فقال: والله ان أطلق لى فى كل شهر من الجارى عشرة دنانير مصرية فإنى أراها خيراً كثيراً. فقال له: لا ! هذا القدر ما يقوم بكفايتك على ما ينبغى. وأنا أقول لو كىلى أن يوصلك كل شهر خمسة عشر ديناراً مصرية وقاعة قريبة منى تسكنها، وهى بجميع فرشها وطرحها، وجارية حسناء تكون لك. ثم أخرج له بعد ذلك خلعة فاخرة ألبسه إياها وأمر الغلام أن يأتى له ببغلة من أجود دوابه فقميها له، ثم قال له: هذا الجارى يصلك فى كل شهر، وجميع ماتحتاج إليه من الكتب وغيرها فهو يأتيك على ما تختاره، وأريد منك أننا لانهخلو من الاجتماع والأنس وأنك لاتتناول إلى شىء آخر من جهة الخلفاء، ولا تتردد إلى أحد من أرباب الدولة فقبل ذلك منه، ولم يزل ابن النقاش مقمياً فى القاهرة على هذه الحال، إلى أن رجع إلى الشام، وأقام بدمشق إلى حين وفاته.

وقد قرأ الشيخ السديد صناعة الطب واشتغل على أبى نصر عدنان بن العين زبى، وقد خدم الشيخ السديد عدداً من الخلفاء هم:

١- الأمر بأحكام الله، حتى وفاته فى يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة من سنة ٥٢٤ هـ (انظر هامش سابق).

٢- الحافظ، حتى اليوم الخامس من جمادى الآخرة من سنة ٥٤٤ هـ (انظر هامش سابق).

٣- الظافر بأمر الله حتى التاسع والعشرين من المحرم سنة ٥٤٩ هـ (انظر هامش سابق).

٤- الفائز بنصر الله (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م).

٥- العاضد لدين الله حتى التاسع من المحرم سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧٢ م، وهو آخر الخلفاء العبيدين الفاطميين.

٦- الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب (انظر هامش سابق).

ولم يزل الشيخ السديد رئيساً على سائر المتطبيين إلى حين وفاته، وكان يسكن فى القاهرة عند باب زويلة فى دار قد اعتنى بها وبولغ فى تحسينها، وجرت عليه فى أواخر عمره محنة : وذلك أن داره هذه احترقت، وذهب له فيها من الأثاث والآلات والأمتعة شىء كثير جداً، ونا تهدم بعضها من النار وقعت برأتى^(١) كبار وخوابى^(٢) ممتلئة من الذهب المصرى. وتكسرت وتناثر فيما بين الحريق والهدم منها الذهب إلى كل ناحية، وشاهده الناس وبعضه قد انسبك من النار، وكان مقدار ذلك ألوفاً كثيرة جداً.

وتوفى الشيخ السديد رحمه الله بالقاهرة فى سنة ٥٩٢ هـ / ١١٩٣ م.

(١) البرنية : شبه فخارة ضخمة خضراء، وربما كانت من القوارير التخان الواسعة

الأفواه، وهى ائاء من خزف، النسان : برن

(٢) انخب : ماخبي.

ابن جميع

ت ٥٩٤ هـ / ١١٩٨ م

هو الشيخ الموفق شمس الرياسة أبو العشائر هبة الله بن زين بن حسن بن أفرائيم بن يعقوب بن إسماعيل بن جميع الإسرائيلي، من الأطباء المشهورين، والعلماء المذكورين والأكابر المتعنين. وكان متفناً في العلوم جيد المعرفة بها كثير الاجتهاد في صناعة الطب حسن المعالجة جيد التصنيف، وقرأ صناعة الطب على الشيخ الموفق أبي نصر عدنان العين زربى ولزمه مدة. وكان مولد ابن جميع ومنشؤه بفسطاط مصر. وخدم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وحظى في أيامه، وكان رفيع المنزلة عنده عالي القدر، نافذ الأمر يعتمد عليه في صناعة الطب، وركب له الترياق الكبير الفاروق، وكان لابن جميع مجلس عام للذين يشتغلون عليه بصناعة الطب، وذكر أنه كان كثير التحصيل في صناعة الطب، متصرفاً في علمها فاضلاً في أعمالها^(١) ومن تلاميذه الشيخ السديد بن أبي البيان.

ويحكى ابن أبي أصيبعة^(٢) أن بعض المصريين حدثوه أن ابن جميع كان جالساً في دكانه عند سوق القناديل بفسطاط مصر، وقد مرت عليه جنازة فلما نظر إليها صاح بأهل الميت، وذكر لهم أن صاحبهم لم يمت، وأنهم إن دفنوه فإنما يدفنوه حياً. قال: فبقوا ناظرين إليه كالتعجبين من قوله، ولم يصدقوه فيما قال.

ثم إن بعضهم قال لبعض: هذا الذي يقوله ما يضرنا إننا نمتحنه، فإن كان حقاً فهو الذي نريده، وإن لم يكن حقاً فما يتغير علينا شيء فاستدعوه إليهم، وقالوا: بين الذي قد قلت لنا، فأمرهم بالمسير إلى البيت وأن ينزعوا عن الميت أكفانه. وقال لهم: إحملوه إلى الحمام، ثم سكب عليه الماء الحار، وأحمى بدنه ونظله بنطولات، وعطسه فأروا فيه أدنى حس وتحرك حركة خفيفة، فقال: أبشروا بعافيته! ثم تم علاجه إلى أن أفاق، فكان ذلك مبدأ اشتهاره بجودة الصناعة والعلم، وظهرت عنه كالمعجزة. ثم إنه سئل بعد ذلك من أين علمت أن ذلك الميت، وهو محمول وعليه الأكفان أن فيه روحاً؟ فقال: إنني نظرت إلى قدميه فوجدتها قائمين، وأقدام الذين قد ماتوا تكون منبسطة، فحدست أنه حي، وكان حدسى صائباً.

وبينما رثاه يوسف بن هبة الله بن مسلم بقصيدة طويلة يقول فيها عن ابن جميع:

وأفضل أهل العصر علماً وسؤداً وأفضلهم في مشكل القول منهم

فإننا نجد ابن النجم المصري، وكان شاعراً مشهوراً، خبيث اللسان، وله أهاج كثيرة في ابن جميع ومن ذلك:

(١) ابن أبي أصيبعة ٣ / ١٨٦ - ١٨٧

(٢) ابن أبي أصيبعة ٣ / ١٨٧

(المنسرح) :

لابن جميع فى طبعه حمق يسب طب المسيح من سببه
وليس يدري مافى الزجاجة من بول مريض ولو تمضمض به
وأعجب الأمر أخذه أبدا أجرة قتل المريض من عصبه

وله أيضاً (المتقارب) :

كذبت وصفحت فيما ادعيت وقلبت أبو جميع اليهودى
وليس جميع اليهودى أباك ولكن أبوك جميع اليهود

ولابن جميع عديد من المؤلفات والمصنفات، جيدة التأليف، كثيرة الفوائد، منتخبة العلاج. وكان له نظرة فى العربية، وتحقيق للألفاظ اللغوية، وكان لا يقرأ إلا وكتاب الصحاح للجوهري حاضر بين يديه، ولا تمر كلمة لغة لم يعرفها حق المعرفة إلا ويكتشفها منه، ويعتمد على ما أورده الجوهري فى ذلك.

ومن كتبه :

- ١- كتاب الإرشاد لمصالح الأنفس والأجساد، أربع مقالات.
- ٢- كتاب التصريح بالمكنون فى تنقيح القانون.
- ٣- رسالة فى طبع الإسكندرية وحال هوائها ومياهها ونحو ذلك من أحوالها وأحوال أهلها.
- ٤- رسالة إلى القاضى المكين أبى القاسم على بن الحسين فيما يعتمد عليه حيث لا يجد طبيباً.
- ٥- مقالة فى الليمون وشرابه ومنافعه، منها نسخة خطية فى طوب قابى سراى، رقم ٧٢٩٧ A ٢١٣٦، وهى سادس ما فى المجموع، ونسخة لدى ورثة خدووالحكيم فى حلب، سباط : الفهرس ٧٦: ١، الرقم ٦٢٠^(١).
- ٦- مقالة فى الراوند ومنافعه، منها نسخة خطية لدى ورثة خدووالحكيم فى حلب، سباط : الفهرس ٧٦: ١، الرقم ٦٢١^(٢).
- ٧- مقالة فى الحنبة.
- ٨- مقالة فى علاج القولنج، واسمها الرسالة السيفية فى الأدوية الملوكية.
- ٩- خصائص الليمون وما يركب منه^(٣) ومنها نسخة خطية فى مكتبة رضا رامبور بالهند الرقم ٣١٦٧ [٢] فى ١٢ ورقة.
- ١٠- رسالة فى خواص الليمون، منها نسخة خطية فى مكتبة رامبور، الرقم ٣١٦٧ [٣].

(١) كوركيس عواد ص ٢٤

(٢) نفسه ص ٢٣

(٣) الأعلام للزركلى ٧٢ / ٨

- ١١- رسالة في الهندباء، منها نسختان خطيتان في جوته، أرقامهما ١١٥٨ [٢٦]، ١٩٣٠ [٥].
١٢- مقالة في أصناف الراوند، منها نسخة خطية ضمن مجموعة في طوب قابي سراي، الرقم
A. 2136 7297

وقد اختصر موسى الكوهين الحلبي (كان حياً سنة ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣ م) مقالتيهما :
[١] مختصر مقالة هبة الله ابن جميع في الراوند ومنافعه، منه نسخة خطية في حلب لدى ورثة خدور
الحكيم. (سباط : الفهرس : الرقم ٣١٨٦).
[٢] مختصر مقالة هبة الله بن جميع في الليمون ومنافعه، منه نسخة خطية في حلب لدى ورثة خدور
الحكيم. (سباط : الفهرس : الرقم ٣١٨٦).

أبو البركات بن القضاى

ت ٥٩٨ هـ / ١١٩٦ م

ويلقب الموفق، وكان من الأطباء المهرة المتميزين في صناعة الطب، وكان مشكوراً في علمها، مشهوراً
بجودة المعرفة في عمائها. وكان يعاني أيضاً صناعة الكحل والجراح، ويعد من الأفاضل فيهما^(١).
وخدم ابن القضاى بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الدين في الديار المصرية وتوفي بالقاهرة في سنة
٥٩٨ هـ / ١١٩٦ م.

أبو المعالى بن تمام

كان حياً ٥٩٦ هـ

هو أبو المعالى أبو تمام بن هبة الله بن تمام، يهودى، غزير العلم وافر المعرفة، وكان مشهوراً في الدولة،
موصوفاً بالفضل، مشكوراً بالمعالجة. وكان مقيماً بفسطاط مصر، وأسلم جماعة من أولاده^(٢).
وخدم ابن تمام بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، وحظى في أيامه.
كما خدم أخاه الملك العادل أبا بكر بن أيوب^(٣).
ولأبى المعالى بن تمام من الكتب تعليقات ومجربات في الطب.

(١) ابن أبى أصيبعة ١٩٣/٣ - ١٩٤

(٢) ابن أبى أصيبعة ١٩٤ / ٣

(٣) هو أبو بكر محمد بن أبى الشكر أيوب بن شاذى بن مروان : الملقب بالملك العادل سيف الدين، أخو السلطان صلاح
الدين، ولد بدمشق في المحرم سنة أربعين، وقيل ثمان وثلاثين وخمسائة، وتوفي في سنة ٦١٥ هـ بالقيين ونقل إلى دمشق
ودفن بالقلعة وكان قد دخل القاهرة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ٥٩٦ هـ

الرئيس موسى بن ميمون

٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م - ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م

هو الرئيس أبو عمار بن موسى بن ميمون القرطبي، وهو يهودي معروف لدى الغرب باسم Maimonides، ولد في قرطبة سنة ٥٣٠ هـ / ١١٣٥ م، وكان أبوه ميمون بن يوسف رياضياً وفلكياً بالإضافة إلى علمه بالتلمود.

ويقول ابن القفطي عنه^(١) إنه كان من أهل الأندلس، يهودى النحلة، قرأ علم الأوائل بالأندلس، أحكم الرياضيات، وأخذ شيئاً من المنطقيات وقرأ الطب هناك فأجاده علماً، ولم يكن له جسارة على العمل. ولما نادى عبد المؤمن بن علي الكومي البربري^(٢) المستوفى على المغرب في البلاد التي ملكها بإخراج اليهود والنصارى منها، وقدر لهم مدة وشرط لمن أسلم منهم بموضعه على أسباب ارتزاقه. له ما للمسلمين وعليه ماعليهم. ومن بقى على رأى أهل ملته فأما أن يخرج قبل الأجل الذي أجله، وإما أن يكون بعد الأجل في حكم السلطان مستهلك النفس والمال. ولما استقر هذا الأمر خرج المخفون وبقي من ثقل ظهره وشح بأهله وماله فأظهر الإسلام وأسر الكفر، فكان موسى بن ميمون ممن فعل ذلك ببلده، وأقام، ولما أظهر شعار الإسلام التزم بجزيياته من القراءة والصلاة ففعل ذلك إلى أن مكنته الفرصة من الرحلة بعد ضم أطرافه في مدة احتملت ذلك. وخرج من الأندلس إلى مصر، ومعه أهله ونزل مدينة الفسطاط بين يهودها فأظهر دينه وسكن محلة تعرف بالمصيصة وارتزق بالتجارة في الجوهر وما يجري مجراه، وقرأ عليه الناس علوم الأوائل وذلك في أواخر أيام الدولة المصرية العلوية.

ويقول الدوميلي^(٣) أن ابن ميمون غادر مهبط رأسه سنة ١١٤٩ / ٨ م. وقد ظلت أسرة ميمون مقيمة برغم ذلك في أمكنة مختلفة من الأندلس بضع سنين بعد ذلك وقبل أن تستقر في فاس (حوالي سنة ١١٥٨ م) بيد أنها هنا أيضاً على إثر اضطهاد آخر لليهود في مراكش، لم تستطع أن تمكث طويلاً، فهاجرت في إبريل سنة ١١٦٥ م، وبعد إقامة قصيرة في فلسطين استقرت في مصر (بالفسطاط) في نهاية السنة المذكورة.

ويلاحظ أن ابن أبي أصيبعة لم يوضح هذه الأحداث بالتفصيل، واكتفى بقوله: وقيل إن الرئيس موسى كان قد أسلم في المغرب وحفظ القرآن واشتغل بالفقه. ثم إنه لما توجه إلى الديار المصرية وأقام بفسطاط مصر ارتد.

(١) ابن القفطي ٢٠٩

(٢) هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي المتوفى في جمادى الآخر سنة ٥٥٨ هـ. وملك المغرب الأقصى والأدنى وبلاد إفريقية وكثيراً من بلاد الأندلس، وفيات الأعيان ٢٣٧/٣ - ٢٤١.

(٣) الدوميلي ص ٣٧٥

كما أنه أثنى عليه بقوله « وهو أوجد زمانه في صناعة الطب، وفي أعمالها، متفنن في العلوم، وله معرفة جيدة في الفلسفة ».

وكان السلطان الملك صلاح الدين يرى له ويستطيعه، وكذلك ولده الملك الأفضل على^(١). وبذلك كان ابن ميمون الطبيب الخاص لصلاح الدين الأيوبي والطبيب الأكبر في بلاط ابنه.

ويحكى ابن القفطى^(٢) أن ابن ميمون تزوج بمصر أختاً لرجل كاتب من اليهود يعرف بأبى المعالى كاتب أم نور الدين على المدعو بالأفضل بن صلاح الدين يوسف بن أيوب، وأولدها ولداً هو اليوم (أى قبل ٦٤٦ هـ تاريخ وفاة ابن القفطى) طبيب بعد أبيه بمصر، وتزوج أبو المعالى أخت موسى وأولدها أولاداً منهم أبو الرضى طبيب ساكن عاقل يخدم آل قليج أرسلان ببلاد الروم.

ويضيف ابن القفطى فيقول: « ومات موسى بن ميمون بمصر في حدود سنة خمسين وستمائة (لعله تصحيف أو خطأ، فابن ميمون مات يوم ١٣ من ديسمبر ١٢٠٤ م المقابلة لسنة ٦٠١ هـ). وتقدم إلى خلفه أن يحملوه إذا انقطعت رائحته إلى بحيرة طبرية ويدفنوه هناك طلباً لما فيها من قبور بنى إسرائيل، ومقدميهم في الشريعة، ففعل به ذلك. وابتلى في آخر زمانه برجل من الأندلس فقيه عرف بأبى العرب بن معيشة وصل إلى مصر واجتمع به، وحاققه على إسلامه بالأندلس، وشنع عليه وأدام آذاه، فمنعه عنه عبد الرحيم بن على الفاضل وقال له : رجل مكره لا يصح إسلامه شرعاً ».

وموسى بن ميمون مشهور في مجالات عديدة، فقد كان مشتغلاً بالفلسفة والطب، وعلم الفلك، والمسائل الدينية. ويقول عنه تاتون^(٣): وكان هذا الفيلسوف الكبير، واللاهوتي، طبيباً للسلطان صلاح الدين، وكان من أشهر القائلين بعلاقة الجسم والنفس، أو ما يسمى اليوم بالطب النفساني الجسدى. كتب موسى ابن ميمون ودائماً يطلب الملك - حوالى عشرة كتب تتناول موضوع حفظ الصحة، والبواسير، والحياة الزوجية الجنسية والسموم والبلاسم والريو وأسباب الأمراض والأقوال المأثورة عن أبوقراط. والشروحات الستة عشر لكتب جالينوس، وكتب أخيراً حكمه الخاصة المسماه بيركى موسى Prike Moshé وكل هذه الكتب يجيب أن تضاف إليها كتاب المصطلحات أو المادة الطبية، وقد كتبت كلها بالعربية، ثم ترجمت تقريباً بكاملها إلى العبرية واللاتينية والفرنسية والألمانية والإنجليزية. ونجد عند ابن ميمون تأثير التلمود وتأثير المؤلفين اليونان وتأثير الرازى، وكان يؤمن مثل هذا الأخير بالطبيعة التى تشفى. وقد أعطى مكاناً مهماً جداً للوقاية الصحية ليس فقط في المعالجة الوقائية بل بالمعالجة الاستطبابية. وكان جراحو القرون الوسطى الكبار أمثال جاي شولياك Gay de Chawliac وارنود فيلنوف Arnoud Vileneuve وهنرى موندفيل Henri de Mondeville يستشهدون له كثيراً فى كتبهم تحت اسم رابى ميمون. وجدير بالذكر

(١) هو أبو الحسن على، الملقب الملك الأفضل تور الدين ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولد بالقاهرة سنة ٥٦٥ هـ وقيل ٥٦٦ هـ ووالده يوسف وزير المصريين. وتوفى بحلب فى صفر سنة ٦٢٢ هـ، وفيات الأعيان ٢/ ٤١٩ - ٤٢١.

(٢) أبى القفطى ص ٢١٠

(٣) تاتون، العلوم العام ص ٥٧٤

أن كتب ابن ميمون اللاهوتية تضمنت معلومات فلكية مفيدة وكان موسى بن ميمون قد عرف كيف يحدد بدقة موقع الشمس ومنازل القمر، وهي معلومات مهمة لحاجات الطقوس الدينية عند اليهود. ويقول الدوميلي^(١): ليس ابن ميمون الطبيب أقل منزلة من ابن ميمون الفيلسوف أو المتكلم. وهناك دراسة جيدة لماكس مايرهوف في مجلة أركيون ح ١١ سنة ١٩٢٩ ص ١٢٦ عنوانها :

L'Oeuvre Médical de Maimonide

وعدة الكتب الطبية لموسى بن ميمون عشرة كتب، كتبت كلها باللغة العربية، ولكنها ترجمت سريعاً إلى العبرية من قبل علماء معاصرين للمؤلف.

١- وأشهر هذه الكتب كتاب الفصول في الطب، المعروف في العبرية بعنوان : «برقت موشيه» (بيركي موشى Prike Moshé)، وهو عبارة عن ١٥٠٠ حكمة استمدها ابن ميمون من جالينوس بوجه خاص، وأضاف إليها ٤٢ تعليقا من عنده. ولم ينشر النص العربي لهذا الكتاب، وعملت له ترجمتان إلى العبرية في أثناء القرن الثالث عشر، كلتاهما في روما، وإحداهما لأسباني اسمه زرحيا بن اسحاق بن شلتيل حن والأخرى لثان هامنتي، ولم تطبع الأولى بعد. وطبعت الثانية طبعاً جد ردي، (في : LOVOW سنة ١٨٣٥، لا سنة ١٨٠٤ ولا سنة ١٨٠٥ كما هو مطبوع على نفس الكتاب)، ثم في سنة ١٨٨٨ في Vilno - وعلى عكس ذلك نشرت الترجمات اللاتينية التي كتبت في القرن الثالث عشر مراراً كثيرة في أوائل عهد الطباعة ولكنها غالباً مصحوبة بإضافات أو تحريفات. والطبعة الأساسية هي طبعة بولونيا سنة ١٤٨٩م. وهذا الكتاب لابن ميمون ليس في حقيقته إلا شرحاً أو تفسيراً.

٢- كتاب المختصر لكتب جالينوس. هو في الحقيقة خلاصة لكثير من كتب طبيب برجامون (جالينوس)، ويقول عنه ابن أبي أصيبعة اختصار الكتب الستة عشر لجالينوس. ويذكر السامرائي^(٢) أن تلميذه يوسف بن عقنين قد شاركه في إعداده.

٣- شرح على حكم أبقرات، على أساس النص الذي ترجمه حنين بن اسحق وهذا الكتاب الأخير لم يطبع بعد، وكذلك ترجمته العبرية لموسى بن طيون^(٣)، ويوجد فقط النص العربي للمقدمة مطبوعاً بحروف عبرية ومرفقاً بترجمة ألمانية في بحث شتينشنيدر، المنشور في مجلة الجمعية الألمانية ح ٤٨ سنة ١٨٩٤ ص ٢١٨ :

M. Steinschneider. Die Vorrede des Mainonides zu seinem Commentar über die Aphorismen des Hippokrates u. s. w.

(١) الدوميلي ص ٣٧٩

(٢) السامرائي، ٢ / ٩٥

(٣) موسى بن صمويل بن جوده بن طيون، وكان والده أشهر من ترجم لموسى بن ميمون، كما تخصص موسى في ترجمة المؤلفات الطبية لابن ميمون.

٤- مقالة في البواسير، نشر كرونر نصها العربي بحروف عبرية مع ترجمة ألمانية

H. Kroner, Die Haemorrhoiden in der Medizin des XII and XIII Jahrhunderts etc. Janus XVI 1911.

وفي دار الكتب المصرية مخطوطة منها باسم : رسالة في أدوية البواسير.

٥- مقالة في الجماع، صنفها لسلطان حماه الأيوبي: الملك المظفر تقي الدين أبي سعيد عمر بن نور الدين (٥٧٥ - ٥٨٨ هـ / ١١٧٩ - ١١٩٢ م)، ويوجد نصان لهذا الكتاب، أحدهما نص مطول ترجمه إلى العربية زرحيا حن ونشره كرونر في دراسته لتاريخ الطب في القرن الثاني عشر.

H. Kroner , Ein Beitrag zur Geschichte der Medizin

des XII. Jahrhunderts, Oberndorf- Bopfingen. 1906.

وهو في النص العربي، مع ترجمة عبرية وترجمة ألمانية، والنص الآخر للأول، ونشره كرونر أيضاً بالنص العربي مع ترجمة ألمانية في:

Eine medizinische Maimonides-Handschrift aus Granada, Janus XVI, 1911.

والمقالة بتسعة فصول، بحث فيها حالات المضاجعة، وما يفيد الباه من الأدوية والأغذية، وما يضر به ويضعفه، وكان من مصادر المقالة قانون ابن سينا وكتاب التيسير لابن زهر.

٦- مقالة في الربو، ولها ترجمة لاتينية مبكرة بقلم Armengaud fils والترجمتان العبريتان القديمتان جداً. أحدهما بقلم صموئيل بنفنتسته Samuel b. Benveniste، ويبدو أنها كتبت على أساس نص لاتيني، والثانية. وهي أحدث من الأولى، وكتبت في نهاية القرن الرابع عشر بقلم يوشوا ساتيبى Yosua Satibi، على أساس نص عربي أصلي. بين أنه وضعها لأحد نبلاء الإسكندرية الذي كان يشكو من هذا المرض، ونصح ابن ميمون بتغيير مكانه والسكن في القاهرة لأن جوها أفضل له، وأشار في هذه المقالة إلى الأطباء أن يعنوا بمرض الربو عناية خاصة، وذكر لهم طريقة علاجه.

٧- كتاب السموم والتحرز من الأدوية القاتلة، ويعرف بعنوان الرسالة الفاضلية، لأنها ألقت (سنة ١١٩٩م) بناء على طلب صديق ابن ميمون العجوز: الوزير القاضي عبد الرحيم بن علي البيساني المشهور بالقاضي الفاضل. ووجهت إليه، وتوجد من هذه الرسالة ترجمتان عبريتان كتبهما موسى بن طبون وزرحيا حن، وترجمة لاتينية لأرمنجود بعنوان: De Venenis par Armengaud:

وكتبت ترجمتان حديثتان على أساس الترجمة العبرية، الأولى بالفرنسية:

L. M. Rabinowicz, Traité des poisons de Maimonides Paris 1865. (nouvelle

reproduction photomecanique - Paris 1935).

والثانية بالألمانية:

M. Steinschneider -Gifte und ihre Heilung von Moses Maimonides- Vorchows

Archiv , LVII , 1873.

٨- مقالة في تدبير الصحة، ألقت بأمر السلطان الكامل، وهذا الكتاب من أشهر كتب المؤلف، وهو مقسم إلى أربعة أقسام، وترجمه إلى العبرية موسى بن طيون سنة ١٢٩٠م، كما ترجمه أرمنجود إلى اللاتينية سنة ١٢٩٠ م أيضاً. ونشر النص العربي مصحوباً بالترجمة إلى الألمانية مع الشرح، بنشر كرونر في مجلة «يانوس» ح ٢٧، ٢٨، ٢٩ للسنوات ١٩٢٤ - ١٩٢٦م. وذلك اعتماداً على مخطوطة وجدت بمكتبة بورليانا بأكسفورد، وفي دار الكتب المصرية مخطوطة أخرى بالنص العربي.

وأقسام الكتاب الأربعة تضم : الفصل الأول في تدبير الصحة، والثاني في تدبير المرضى حيث لا يوجد طبيب، والفصل الثالث في تدبير صحة الملك بحسب أعراض مرضه وكان يومئذ قد أصيب بالتهمة ويبس الطبيعة وقبح السيرة بسبب إفراطه في اللهو والشراب. والفصل الرابع في وصايا للأصحاء والأمراض النفسية وأسلوب مداوئها.

٩- مقالة في بيان الأعراض، وهو آخر كتب بن ميمون، وكتبه للسلطان الأفضل الأيوبي، وتوجد له ترجمة لاتينية مجهول كاتبها من العصور الوسطى. ونشر كرونر النص العربي مع ترجمة ألمانية وشرح في مجلة يانوس ح ٣٢ سنة ١٩٢٨ ص ١٢.

١٠- شرح أسماء العقار. وهو مكتوب بقلم ابن البيطار المشهور نفسه، وهذا الكتاب يذكر أسماء العقاقير المختلفة وأوصافها في فصول قصيرة تبلغ ٤٠٦ فصلاً ومنه نسخة خطية في مكتبة القاتح باستامبول الرقم ٣٦١٠، وأيا صوفيا، الرقم ٣٧١١، وقد حققه ماكس مايرهوف، ونشره مع ترجمته إلى الفرنسية في القاهرة^(١)، وأعادت مكتبة المثنى ببغداد طبع النص العربي وحده بالأوقست من طبعة مايرهوف. ويذكر ابن ميمون في أول المقالة مصادره عن ابن جلجل الأندلسي، وأحمد بن محمد الغافقي، وأبي المنظر بن واهد اللخمي، وابن سمحون، ومروان بن جناح. وكل هؤلاء من علماء الأدوية في الأندلس بالقرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي.

ويذكر الدوميلي^(٢) أن كتباً طبية صغيرة أخرى تنسب إلى ابن ميمون ولكن نسبتها مشكوك فيها. ومن ذلك كتاب الطب القديم، الذي وجدت مخطوطته في أحد أديرة القبط في مصر.

وقد عني ابن ميمون بمسائل علم الفلك، فشرح كتاباً لفلكيين مختلفين، أو عالج عرضاً بعض هذه المسائل في بعض كتبه، ونذكر الرسالة التي كتبها سنة ١١٩٤م إلى أحيار مارسيليه، لأنه لخص فيها التنجيم بصراحة، وقد بحث هذا الموضوع الكسندر ماركس في دراسته سنة ١٩٢٦ المعنونة :

Alexander Marx 1926. The Correspondence between the Rabbis of Southern France and Maimonides about astrology, Hebrew Univ. College Annual III.

وتشتمل الدراسة أيضاً على النص العربي للرسالة، وكذلك على نص الرسالة التي كتبها له الأخبار.

(١) مطبعة المعهد العلمي الفرنسي القاهرة ١٩٤٠، ٦٩ + ٧٦ + ٢٥٨ ص

(٢) الدوميلي ص ٣٨١

أما عن الكتب الفلسفية لابن ميمون، فإن أشهرها وأهمها كتاب دلالة الحائرين الذى يسميه المعارضون له: ضلالة الحائرين. وفى هذا الكتاب يحاول ابن ميمون أن يوفق بين علم الكلام اليهودى وبين الأرسطاطاليسية الإسلامية. وهو يذهب بوجه خاص إلى أن اكتساب العلم من أسمى أنواع التدين. وقد ترجم صمويل بن طبون هذا الكتاب إلى العبرية حوالى ١٢٠٤م. واستطاع أن ينتفع فى هذه الترجمة بإرشادات المؤلف نفسه.

وفى القرن الثالث عشر، كتب الخريزى ترجمة عبرية، ويبدو أنه استخدم فى ترجمته نصاً لاتينياً، وصحح هذه الترجمة الأخيرة، Agostina Giustinian ونشرت فى باريس سنة ١٥٢٠م. وتوجد زيادة على ذلك ترجمات عبرية عديدة، وهناك طبعة بحروف عبرية مع ترجمة فرنسية بقلم مونك :
Salomon Munk, Guide des égarés, 3 Vol., Paris 1865- 1866 .

كما ظهرت ترجمة ألمانية بقلم فايس :

Adolf Weiss. Führer des Unichlüssigen 3 Bd. Leipzig 1923 -24.

كما نشر الشيخ زاهد الكوثرى مقدمات هذا الكتاب الضخم وهى ٢٥ مقدمة، فى القاهرة سنة ١٩٥٠م. ومن كتب ابن ميمون الدينية والتشريعية، ينبغي أن نذكر بوجه خاص كتاب: السراج، وكتاب: «مشناتوراه»، وهى ترتيب، وتقنين كامل لجميع الشرائع الموسوية والريانية.

ولقد عاش ابن ميمون محترماً بين ملته اليهود، فقد عاصر الوزير حسداى بن شبروط، والعالم الطبيب مروان بن جناح وغيرهما ممن عاشوا فى ذلك المحيط العلمى الزاهر فى قرطبة. وعندما انتقل إلى مصر لقي كل الرعاية من صلاح الدين الأيوبي وصار طبيبه وجليسه. كما صار رئيس الطائفة اليهودية فى القاهرة، وحبرها فى الشريعة الموسوية.

ولقد كان لابن ميمون دعاء جميل العبارة رفيع المعانى، فيه تمسك بالسلوك المهنى، كما كان فيه تضرع إلى الله للأخذ بيده فى خدمة الصنعة والمرضى. وفى مضمون هذا الدعاء أيضاً كثير مما ورد فى قسم أبقراط عن الإخلاص للمهنة وللمرضى، من المناسب ذكره هنا، قال فيه :

«رى أملأ نفسى حباً عميقاً لفن الطب، ولجميع الناس، ولا تسمح بأن يكون التعطش للربح والمجد الباطل فنى، فإن أعداء الحق والظالمين يستطيعون بسهولة أن يقصونى عن إنجاز واجبى الشريف فى صنع الخير، والإصلاح نحو عبادك.
رى اسند قلبى ليكون أهلاً لخدمة الفقير والغنى على السواء، وخدمة الصديق والعدو، والصالح والشرير على السواء.

رى دعنى ألا أرى فى المريض إلا آلامه وإزعاجه. ولتبق نفسى صافية نقية قرب سريرى، وأبعد عنى سبىء الأفكار وخبيثتها عند معالجته لأبذل خالص علمى وفنى.

رى هب المرضى الثقة بى وبفنى، واجعلهم يتبعون أوامرى ووصاياى، وأبعد عن سريرهم المشعوذين والدجالين، وأبعد عنهم أقاربهم الذين يبذلون لهم النصائح

السقيمة والخطرة، وإذا رماني الجهلاء بسهام انتقاداتهم الطائشة فاجعل ياربي
تعلقى بفن الطب ترساً يقينى هجماتهم الجارحة لأبقى أميناً على خدمة ومحافظة
شرفى وشرف الطب ضدهم.

رى هبنى الأناة والصبر وطيب النفس، وسعة الصدر عند سرير المرضى الجهلاء
والعنودين، وامنحنى القناعة فى كل شىء إلا القناعة فى حب الطب وتقدمه، وابتعد
عن فكرة التفاخر والتباهى بقدرتى على إنجاز كل شىء، والنجاح فى كل
أمر، وهبنى القوة والإرادة، واجعل منى أهلاً لتوسيع معارفى الفنية لأتمكن بها من
اكتشاف الأمور الهامة فى خدمة الطب، والتي لم أستطع اكتشافها فى الماضى، أو لم
تخطر على بالى قبل هذا».

وقد توفى ابن ميمون بالفسطاط سنة ٦٠١ هـ/ ١٢٠٤ م، ثم نقل جثمانه حسب وصيته ودفن فى طبرية
بفلسطين. وعقب له ولد واحد هو أبو المنى إبراهيم بن موسى، وكان طبيباً أيضاً إلا إنه لم يلحق بأبيه
علماً وشهرة.

ابن أبى حفص

٥٥١-٦٠٦ هـ / ١١٥٦-١٢٠٩ م

أبو الطاهر إسماعيل بن نعمة بن يوسف بن شبيب الرومى المصرى العطار البارع الأديب بن أبى حفص.
كان بارعاً فى الأدب، حنبلى المذهب كما كان بارعاً فى العقاقير. توفى فى عشرين المحرم سنة ٦٠٦ هـ،
ودفن بسقن المنقظم^(١).

أبو سعيد بن أبى سليمان

ت ٦١٢ هـ / ١٢١٦ م

هو الحكيم مهذب الدين أبو سعيد بن أبى سليمان بن أبى المنى بن أبى فانه. هو أكبر أخوته أبناء
أبى سليمان، وقرأ علم الطب على أبيه وعلى غيره من شيوخ الطب، والتحق بإحاشية صلاح الدين حين
دخل القدس، وصحبه إلى مصر و صار من أطبائه المقربين إليه، وينتقل بين دمشق والقاهرة تبعاً لوجود
صلاح الدين فى المدينتين، ثم استقر بعد وفاة صلاح الدين فى ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م فى القاهرة بخدمة الملك
العادل بن أيوب، الذى جعله فى خدمة ولده الملك المعظم.
وتوفى أبو سعيد بالقاهرة سنة ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م^(٢).

(١) أحمد عيسى - معجم الأطباء ١٤٦، شذرات الذهب لابن العماد ٢٢/٣

(٢) ابن أبى أصيبعة ٢٠٣/٣

أبو شاعر بن أبي سليمان

ت ٦١٢ هـ / ١٢١٦ م

هو الحكيم موفق الدين أبو شاعر بن أبي سليمان داود، قرأ الطب على أخيه مهذب الدين أبي سعيد، وخلفه في خدمة الملك العادل الأيوبي. وخدم الملك الكامل، ونال في دولته حظاً عظيماً. وصار له مركز مرموق في بلاطه، وتوفي بالقاهرة سنة ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م، ودفن بدير الخندق عند القاهرة^(١).

القطب المصري

ت ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م

هو إبراهيم بن علي بن محمد السلمي المغربي الحكيم المعروف بالقطب المصري صنف كتباً في الطب والفلسفة وشرح الكليات بكمالها من كتاب القانون^(٢) وكان أصله مغربياً وإنما انتقل إلى مصر وأقام بها مدة، ثم سافر بعد ذلك إلى بلاد العجم. وقد قتل بمدينة نيسابور، وذلك عندما استولى التتار على بلاد العجم وقتلوا أهلها، وللقطب المصري من الكتب : شرح الكليات من كتاب القانون للشيخ الرئيس ابن سينا^(٣).

يوسف الإسرائيلي

كنيته أبو الحجاج. مغربي الأصل من فاس، هجر موطنه واستوطن مصر، واشتغل فيها على موسى بن ميمون القرطبي. وسافر إلى الشام وأقام بحلب بمعية الملك غازي بن صلاح الدين الأيوبي المتوفى ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م. وكان عالماً بالحساب والنجوم بالإضافة إلى الطب. وله رسالة الأدوية اللطيفة والكثيفة وتناولها^(٤).



(١) ابن أبي أصيبعة ٣ / ٢٠٣ - ٢٠٤

(٢) أحمد عيسى - معجم الأطباء ٥٨

(٣) ابن أبي أصيبعة ٣ / ٤٦

(٤) السامرائي، ٢ / ٥٥٨

• إبراهيم بن الرئيس موسى

ت ٦٣٩ هـ / ١٢٣٩ م

هو أبو المنى إبراهيم بن الرئيس موسى بن ميمون، منشؤه بفسطاط مصر، وكان طبيباً مشهوراً عالماً بصناعة الطب، جيداً في أعمالها. وكان في خدمة الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب. ويتردد أيضاً إلى البيمارستان الذي بالقاهرة من القصر، ويعالج المرضى فيه^(١).

أسعد الدين بن أبي الحسن

٥٧٠ - ٦٢٥ هـ / ١١٧٤ - ١٢٣٧ م

هو أسعد الدين بن عبد العزيز بن أبي الحسن على من أفاضل العلماء، وأعيان الفضلاء. واشتغل بصناعة الطب على أبي زكريا يحيى البياسى فى ديار مصر. وخدم الملك المسعود أقيس بن الملك الكامل، وأقام معه باليمن مدة. وكان أبوه طبيباً بديار مصر. ولأسعد الدين من الكتب : كتاب نواذر الأدباء فى امتحان الأطباء، صنفه للملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب^(٢).

جمال الدين بن أبي الحوافر

ت بعد ٦٢٥ هـ

هو الشيخ الإمام العالم أبو عمرو عثمان بن هبة الله بن أحمد بن عقيل القيسى، ويعرف بابن أبي الحوافر، يقول عنه ابن أبي أصيبعة : أفضل الأطباء وسيد العلماء وأوحد العصر وفريد الدهر، قد أتقن الصناعة الطبية، وتميز فى أقسامها العلمية وله اشتغال جيد بعلم الأدب وعناية فيه، وله شعر كثير صحيح أنبأنى بديع المعانى، وكان رحمه الله كثير المروءة غزير العربية معروفاً بالأفضال، موصوفاً بحسن الخلال. قد غمر بإحسانه الخاص والعام، وشملهم بكثرة الإنعام.

ولد ونشأ بدمشق، واشتغل بصناعة الطب على الإمام مهذب الدين بن النقاش^(٣) وعلى الشيخ رضى الدين الرحبى (ولد فى شهر جمادى الأول سنة ٥٣٤ هـ، وتوفى بكرة يوم الأحد العاشر من المحرم

(١) ابن أبي أصيبعة ١٩٥/٣

(٢) ابن أبي أصيبعة ٢١٩/٣ - ٢٢٠

(٣) الشيخ الإمام العالم أبو الحسن على بن أبي عبد الله عيسى ابن هبة الله النقاش مولده ومنشؤه ببغداد، توفى بدمشق

يوم السبت ثانى عشر محرم سنة ٥٧٤ هـ ودفن بها فى جبل قاسيون، ابن أبي أصيبعة ٢٦٧/٣

سنة ٦٣١ هـ بدمشق)، وخدم بصناعة الطب الملك العزيز عثمان بن الملك الناصر صلاح الدين^(١) وأقام معه في الديار المصرية، وولاه رئاسة الطب. ولم يزل في خدمته، وهو كثير الإحسان إليه والإنعام عليه، إلى أن توفي الملك العزيز. وبقي ابن أبي الحوافر مقيماً بالديار المصرية وقطن بها، ثم خدم بعد ذلك الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب^(٢)، وبقي معه سنتين، وتوفي بن أبي الحوافر بالقاهرة. ويحكى عنه ابن أبي أصيبعة يقول: وحدثني بعض أصدقائه قال: كان يوماً ركباً فرأى في بعض النواحي على مسطبة بيع حمص مسلوقة، وهو قاعد وقدامه كحال يهودى، وهو واقف ويده المكحلة والميل، وهو يكحل ذلك البياض فحين رآه على تلك الحال ساق بغلته نحوه وضربه بالمقرعة على رأسه، وستمته، وعندما مشى معه قال له إذا كنت أنت سقطة في نفسك، أما للصناعة حرمة؟ كنت قعدت إلى جانبه وكحلته، ولا تبق واقفاً بين يدي عامى بيع حمص، فتاب أن يعود يفعل مثل ذلك الفعل وانصرف. وقد تتلمذ على يدى ابن أبي الحوافر جماعة تميزوا في صناعة الطب، وكان منهم بل من أجل تلامذته وأعلمهم الحكيم رشيد الدين على بن خليفة^(٣). ولا بن أبي الحوافر كتاب مختصر في الطب، يقول السامرائى^(٤) أنه في المتحف العراقي.

القاضى نفيس الدين ابن الزبير

ولد سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م

توفي سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٧ م

هو القاضى الحكيم نفيس الدين أبو القاسم هبة الله بن صدقة بن عبد الله الكولى، والكولم من بلاد الهند. وهو ينسب من جهة أمه إلى ابن الزبير الشاعر المشهور الذى كان بالديار المصرية، وهو القائل (الكامل):

ياريح أين ترى الأحبة يمموا هل أوجدوا من بعدنا أو أتهموا

(١) الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، ولد بالقاهرة في ثامن جمادى الأولى سنة ٥٦٧ هـ، وتوفي ليلة الأربعاء الحادى والعشرين من المحرم سنة ٥٩٥ هـ ودفن بالقراقة الصغرى في قبة الأمام الشافعى رضى الله عنه، وفيات الأعيان ٣: ٢٥١ - ٢٥٣

(٢) أبو المعالى محمد بن أبى بكر اللقب الملك الكامل ناصر الدين صاحب الديار المصرية، توفي بدمشق سنة ٦٣٥ هـ وفيات الأعيان، ٥/ ٨٩ - ٩٢

(٣) أبو الحسن على بن خليفة بن يونس بن أبى القاسم بن خليفة، من الخبزج من ولد سعد بن عباد، ولد بحلب سنة ٥٧٩ هـ، ولقد اشتغل بالقاهرة وقرأ على ابن أبى الحوافر شيئاً من كتب جالينوس السقطة عشر وحفظ منها الكتب الأولى في أسرع وقت، واجتمع في القاهرة بالأطباء الذين عملوا في البيمارستان (في السقطين أسفل القاهرة) ومنهم القاضى نفيس الدين الزبير والشيخ موفق الدين البغدادى، ابن أبى أصيبعة ٣/ ٤٠٢ - ٤٣٣

(٤) السامرائى، ج ٢ / ٥٠٢

وقد ولد القاضى نغيس الدين فى سنة خمس أوست وخمسين وخمسائة وقرأ صناعة الطب على ابن شوعة أولاً؛ وقرأ بعد ذلك على الشيخ السديد رئيس الطب، وتميز فى صناعة الطب وحاول أعمالها، وأتقن أيضاً صناعة الكحل، وعلم الجراح.

وكثر شهره القاضى نغيس الدين بصناعة الكحل، وولاه الملك الكامل^(١) ابن الملك العادل رئاسة الطب بالديار المصرية، ويكحل فى البيمارستان الناصرى الذى كان من جملة القصر للخلفاء المصريين. وكان من جملة الأطباء الذين عملوا معه فى البيمارستان إبراهيم بن الرئيس ميمون الذى كان هو الآخر فى خدمة الملك الكامل.

وتوفى القاضى نغيس الدين ابن الزبير بالقاهرة فى سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨ م. وترك أولاداً مشهورين بصناعة الكحل.

الصاحب أمير الدولة

ت ٦٤٠هـ/١٢٤٢م

هو أبو الحسن على بن غزال بن أبى سعيد الوزير الكبير الصاحب أمير الدولة كمال الدين السامرى ثم المسلمانى. كان لا سامرياً ولا مسلماً، بل كان متنصراً بالإسلام، وقد سجن بقلعة مصر مدة سنتين^(٢).

ويقول السامرائى^(٣) إن أمير الدولة أقتيد من قبل منافسيه إلى مصر وهناك قتل فى أيام عز الدين أيبك (ت ٦٥٢هـ) ولأمير الدولة كتاب النهج الواضح فى الطب، وهو بخمسة كتب (أجزاء) :

الكتاب الأول: ويبحث فى الأمور الطبيعية وحالات الأبدان وأجناس الأمراض، وعلائم الأمزجة المختلفة والمعتدلة للأعضاء الرئيسية وما يقرب منها، ثم فى النقيض والبول والبراز والبحران.

الكتاب الثانى: ويبحث فى الأدوية المفردة وقواعدها.

الكتاب الثالث: فى الأدوية المركبة وقواعدها.

الكتاب الرابع: فى تدبير الأصحاء. وعلاج الأمراض الظاهرة وأسبابها وعلائمها وما يحتاج إليه من عمل اليد، وفيه أيضاً عن تدبير الزينة وتدبير السموم.

الكتاب الخامس: فى الأمراض الباطنة وأسبابها وعلائمها وعلاجها وما يحتاج إليه من عمل اليد.

(١) أبو المعالى محمد بن أبى بكر الملقب الملك ناصر الدين صاحب الديار المصرية، توفى بدمشق سنة ٦٣٥هـ، وفيات

الأعيان ٨٩/٥ - ٩٢

(٢) أحمد عيسى، معجم الأطباء ٣١٢

(٣) السامرائى، تاريخ الطب ٢ / ٥١٨

الشيخ السديد بن أبي البيان

ولد ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م

توفي بحدود ٦٤٣ هـ / ١٢٤٠ م

سديد الدين أبو الفضل داود بن أبي البيان سليمان بن أبي الفرج إسرائيل بن أبي الطيب سليمان ابن مبارك، إسرائيلي قراء، مولده بالقاهرة سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م. وكان شيخاً محققاً للصناعة الطبية متقناً لها، متميزاً في علمها وعملها، خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة.

وقد عمل بن أبي البيان في البيمارستان الناصري بالقاهرة^(١) وقد عمل معه من الأطباء إبراهيم بن الرئيس ميمون وابن أبي أصيبعة^(٢) والقاضي نفيس الدين بن الزبير.

ويحكي ابن أبي أصيبعة^(٣) فيقول: « ولقد شاهدت منه حيث يعالج المرضى بالبيمارستان الناصري بالقاهرة من حسن تأنيه لمعرفة الأمراض، وتحقيقها وذكر مداواتها والاطلاع على مذكره جاليتوس فيما يعجز عنه الوصف. وكان أقدر أهل زمانه من الأطباء على تركيب الأدوية ومعرفة مقاديرها وأوزانها على ما ينبغي، حتى أنه كان في أوقات يأتي إليه من المستوصفين من به أمراض مختلفة أو قليلة الحدوث، فكان يحكي صفات أدوية مركبة بحسب ما يحتاج إليه ذلك المريض من الأقراص والسقوفات والأشربة، أو غير ذلك في الوقت الحاضر، وهي في نهاية الجودة وحسن التأليف...»

وكان هبة الله بن جميع اليهودي شيخ بن أبي البيان في الطب، كما قرأ أيضاً على أبي الفضائل ابن الناقد.

وقد خدم الشيخ السديد بن أبي البيان الملك العادل أبا بكر بن أيوب وعاش فوق الثمانين سنة، وتوفي بحدود ٦٤٣ هـ / ١٢٤٠ م. وكان قد ضعف بصره في آخر عمره.

ويعرفه الدوميلي^(٤) أنه دافيد بن سلومو، ولابن أبي البيان من الكتب :

١- تعاليق على كتاب العلل والأعراض لجالينوس.

(١) البيمارستان الناصري أو الصلاحي أوبيمارستان صلاح الدين، ويعرف بالبيمارستان العتيق، وقد كان في أحد قاعات قصر الفاطميين قاعة بناها العزيز بالله في سنة ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م، فلما منك صلاح الدين الأيوبي الديار المصرية جعلها بيمارستاناً داخل القصر سنة ١١٨١ م

(٢) موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة المشهور بكتابه عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ولد في دمشق، وتوفي سنة ٦٨٨ هـ / ١٢٦٩ م وقد جاوز السبعين

(٣) ابن أبي أصيبعة ٣ / ١٩٦

(٤) الدوميلي ص ٥٦٦

٢- الدستور البيمارستانى ، ويقول عنه ابن أبى أصيبعة^(١) كتاب الآقربازين ، وأنه اثنا عشر بابا قد أجاد ابن أبى البيان فى جمعه ، وبالع فى تأليفه واقتصر على الأدوية المركبة المستعملة المتداولة فى البيمارستانات بمصر والشام والعراق وحوانيت الصيدلة.

ويضيف ابن أبى أصيبعة قوله : وقرأته عليه وجمعته معه.

ويقول عنه بولس سباط^(٢) أنه جمعه مما اتضح نفعه بالاستعمال فى البيمارستان الناصرى بالقاهرة ، وغيره من دور التداوى فى مصر والشام والعراق وحوانيت الصيدلة. وبالع فى شرح فوائد تلك الأدوية والحرص على ضبط أقدارها وأوزانها ، ضنا بها أن تذهب ضياعاً على مرور الزمان. ويضيف قوله : وفى الجملة : إن ابن أبى البيان كان علماً من أعلام صناعته ، نبه ذكره وعظم قدره حتى قال بعضهم فيه :

إذا أشكل الداء فى باطن أتى ابن بيان له بالبيان
فإن كنت ترغب فى صحة فخذ لسقامك منه الأمان

وقد نشر القس بولس سباط هذا المؤلف تحت عنوان :

Paul Sbath 19321933- Le formulaire des hopitaux d'Ibn Abil Bayan , Médecin du Bimaristan Annacery au Caire.

Bull. Inst. d'Egypt XV : 13 - 80.

ونورد فيما يلى مقدمة الدستور البيمارستانى :

وبعد فهذا دستور يشتمل على بيان الأدوية المركبة المستعملة فى أكثر الأمراض المقتصر عليها فى البيمارستان وهى التى أكثر الأطباء استعمالها ، فعرف نفعها ، واشتهر ذكرها ، مما عنى بجمعه داود بن أبى البيان الخطيب ، وهو اثنا عشر بابا :

الباب الأول فى المعاجين والأطريفلات^(٣)

الباب الثانى فى الجوارشنات^(٤)

الباب الثالث فى الحبوب والأيارجات^(٥) والمطبوخات

الباب الرابع فى الأقراص والسفوفات

الباب الخامس فى الأشربة والمربيات واللعوقات والربويات

الباب السادس فى الغراغر والسعوطات

(١) ابن أبى أصيبعة ٣ / ١٩٧

(٢) بولس سباط فى مقدمة الدستور البيمارستانى ص ١٦

(٣) لفظ اطريفل تدل على المعجون المتخذ من الثلاثة الاهليلجات (الكاينى والأملج والبيلج)

(٤) معنى الجوارش فى اللغة الفارسية هاضم الطعام ، وأكثر ما يقع هذا الاسم على المعجونات التى تقع فيها الأقاوية

والفلاقل اثلاثة (قفل أسود ، الكباية الصينى والدار قفل) والزنجبيل

(٥) خليط من الأدوية المفردة

الباب السابع فى الأحكام والشفافات

الباب الثامن فى الحقن والفتائل والقرزجات

الباب التاسع فى الأظلية والضمادات

الباب العاشر فى الأدهان والنطولات

الباب الحادى عشر فى أدوية النغم والستونات

الباب الثانى عشر فى المراهم وأدوية البواسير والخراجات

وقد اقتصر على ذكر ما تعرف بسائطه وتوجد فى أكثر المواضع، فإن ذكر غير ذلك لا ينتفع به إلا من أغرق نفسه فى صناعة الطب وكان مقبلاً لاستقصاء أعمالها، وهذا المختصر ينفع به أكثر من يقع إليه وقد أرشد لليسير من صناعة الطب، وبالله أعتضد وهو حسبى ونعم المعتمد.

ولا شك أن الدستور البيمارستانى الذى وضعه ابن أبى البيان من المؤلفات التى تجدر دراستها فى ضوء العلوم الحديثة، نظراً لما يحويه من معارف ومعلومات. ويكاد يشابه دساتير الأدوية الحديثة فى تبويبه «Batanouny 2007»

فتح الدين بن جمال الدين بن أبى الحوافر

توفى بعد ٦٣٧ هـ وقبل ٦٤٧ هـ

كان مثل أبيه جمال الدين فى العلم والفضل والنباهة، نزيه النفس صائب الحدس أعلم الناس بمعرفة الأمراض وتحقيق الأسباب والأعراض، حسن العلاج والمداواة، لطيف التدبير والمداواة، على الهمة، كثير المروءة فصيح اللسان، كثير الإحسان، وخدم بصناعة الطب الملك الكامل محمد بن أبى بكر بن أيوب، وبعده الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد^(١). وتوفى فتح الدين فى أيامه بالقاهرة^(٢).

شهاب الدين بن فتح الدين

هو سيد العلماء ورئيس الأطباء، علامة زمانه وأوحد أقرانه، قد جمع الفضائل وتميز على الأواخر والأوائل، وأتقن الصناعة الطبية علماً وعملاً، وحررها تفصيلاً وجملًا، وهو علامة وقته فى حفظ الصحة ومراعاتها، وإزالة الأمراض وعلاجاتها، قد اقتفى سيرة آبائه وفاق نظراءه فى همته وإبائه^(٣).

(١) الملك الصالح أبو الفتح أيوب الملقب نجم الدين ابن السلطان الملك الكامل ابن السلطان الملك العادل بن أيوب. دخل القاهرة يوم الأحد ٢٧ من ذى القعدة سنة ٦٣٧ هـ، وتوفى ليلة النصف من شعبان سنة ٦٤٧ هـ بالمنصورة، وفيات الأعيان ٢٥٩/٦ - ٢٦٠

(٢) ابن أبى أصيبعة ٣/ ١٩٨

(٣) ابن أبى أصيبعة ٣/ ١٩٨ - ١٩٩

وقد أقام فى الديار المصرية ، وخدم بصناعة الطب الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الملك الصالح صاحب الديار المصرية والشامية^(١).

رشيد الدين أبو سعيد

ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م

هو أبو سعيد بن موفق الدين يعقوب بن نصارى القدس. أديب ونحوى ودرس الطب على الدخوار بدمشق، وعلى رشيد الدين على بن خليفة عم أحمد بن أبى أصيبعة. وخدم الملك الكامل، وبقي فى خدمته زماناً مقيماً بالقاهرة، ثم خدم بعد ذلك الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل. ولرشيد الدين أبى سعيد من الكتب :

١- كتاب عيون الطب، صنّفه للملك الصالح نجم الدين أيوب وهو أجل كتاب صنّف فى صناعة الطب، ويحتوى على علاجات مختارة.

٢- تعاليق على كتاب الحاوى فى الطب لأبى بكر محمد بن زكريا الرازى.^(٢)

أبو البركات بن شعيّا

ولقبه الموفق، شيخ مشهور كثير التجارب مشكور الأعمال فى صناعة الطب، وكان يهودياً قرأ عاش ستاً وثمانين سنة، وتوفى بالقاهرة، وخلف ولداً يقال له سعيد الدولة أبو الفخر وهو طبيب أيضاً، ومقامه بالقاهرة^(٣)، ويقول الدوميلي^(٤) عن سعيد الدولة. إنه طبيب يهودى، لا يعرف إلا لقبه، شغل منصباً كبيراً إذ كان طبيباً فى بلاط أيل - خان أرجون، ولكنه فى أثناء المرض الأخير لهذا الأمير سجن وقتل بيد أعدائه سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م.

أبو نصر بن أبى سليمان

كان طبيباً وهو ثالث أبناء أبى سليمان بن فانه. وقد توفى بالكرك.

(١) السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس الصالحى النجمى. وهو أحد معانك الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل بن الملك العادل بن أيوب، وتوفى المنكة سنة ٦٥٨ هـ. وتوفى بدمشق يوم الخميس السابع والعشرين من المحرم من سنة ٦٧٦ هـ، وفيات الأعيان ١٥٥/٤ - ١٥٦.

(٢) ابن أبى أصيبعة ٢١٨/٣ - ٢١٩.

(٣) ابن أبى أصيبعة ١٩٥/٣

(٤) الدوميلي ص ٥٦٧

أبو الفضل بن أبي سليمان

٥٦٠-٦٤٤هـ / ١١٦٥-١٢٤٦م

أصغر إخوته أبناء أبي سليمان بن أبي فاته، وكان مولده في سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م، وقد عمر كثيراً وتوفي سنة ٦٤٤ هـ / ١٢٤٦ م حيث عاش ٨٤ سنة، وكان في خدمة الملك المعظم الأيوبي (٦١٥ - ٦٢٤ هـ / ١٢١٨-١٢٢٧م) في دمشق، ثم الملك الكامل الأيوبي في القاهرة (٦١٥-٦٥٣ هـ / ١٢١٨-١٢٣٨م).

رشيد الدين أبو حليقة

ت بدمشق ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨م

هو الحكيم الأجل العالم رشيد الدين أبو الوحش بن الفارس أبي الخير ابن أبي سليمان داود بن أبي المنى بن أبي فاته، وكان أبوه أبا الخير المعروف بالفارس أحد الأبناء الخمس لأبي سليمان بن أبي فاته، وعلى رغم أنه لم يشتغل بالطب كبقية إخوته إلا إن ابنه رشيد الدين أبا حليقة عمل في هذا المجال، ذلك بناء على نصيحة الملك الكامل الذي قال له: ولدك هذا ولد ذكي لا تعلمه الجندية فالأجناد عندنا كثيرون، وأنتم بيت مبارك، وقد استبركنا بطيكم، فسيره إلى الحكيم أبي سعيد إلى دمشق ليقترنه الطب، فامتثل أبو الخير للأمر، وسافر رشيد الدين إلى دمشق حيث حفظ فيها كتاب الفصول لأبقراط، وتقدمة المعرفة، وتعلم الطب على عمه مهذب الدين بن أبي سليمان، وعلى الدخوار^(١) ثم عاد إلى الديار المصرية في سنة ٥٠٩ هـ، وأقام بها، وخدم بصناعة الطب الملك الكامل.

والسبب في أنه يكنى بأبي حليقة (تصغير حلقة) أن والده لا يعيش له ولد، فنذر أن عاش له واحد ليضع في أذنه حلقة (قرطاً)، فجاء له ولد سماه رشيد الدين وألبسه حلقة كما نذر له وبقيت الحلقة في أذن رشيد الدين مدى حياته.

وقد خدم أبو حليقة عدداً من الملوك و السلاطين هم :

١- الملك الكامل (ت ٦٣٥ هـ / ١٢٣٨ م).

٢- الملك الصالح نجم الدين أيوب (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م).

٣- الملك المعظم توران شاه (ت ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م).

٤- الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الملك الصالح (ت ٦٧٦ هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧ م).

وتوفي رشيد الدين أبو حليقة بدمشق سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م وأعقب ثلاثة بنين هم: مهذب الدين أبو سعيد، وقد سماه باسم عمه، أي عم رشيد الدين، و الثاني هو موفق الدين أبو الخير، و الثالث هو علم الدين أبو نصر.

(١) هو مهذب الدين عبد الرحيم بن علي بن حامد، و الدخوار لقب عرف به وله تلاميذ عديدون مبرزون في الطب منهم ابن أبي أصيبعة وابن النفيس وله مؤلفات عديدة. توفي سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م).

ولرشيد الدين أبى حليقة من المؤلفات :

- ١- مقالة فى حفظ الصحة
- ٢- مقالة فى أن الملاذ الروحانية أكثر من الملاذ الجسمانية، إذ الروحانية كمالات، وإدراك الكمالات والجسمانية إنما هى دفع آلام خاصة، إذ زادت أوقعت فى آلام أخرى.
- ٣- المختار فى الألف عقار، وهو كتاب فى الأدوية المفردة.
- ٤- كتاب فى الأمراض وأسبابها وعلاماتها ومداواتها بالأدوية المفردة و المركبة التى قد أظهرت التجربة نجاحها، ولم يداو بها مرضاً يؤدى إلى السلامة إلا ونجحت، التقطها من الكتب المصنفة فى صناعة الطب من آدم إلى وقتنا هذا (يعنى زمن ابن أبى أصيبعة) ونظم مشتتها ومتفرقها.
- ٥- مقالة فى ضرورة الموت، وذكر فى المقالة أن الإنسان ما يزال يتحلل من بدنه بالحرارة التى فى داخله، وبحرارة الهواء الذى من خارجه، كانت نهايته إلى الفناء بهذين السببين.
- ٦- الأدوية المفردة من نسخة خطية بدار الكتب المصرية الرقم ٥٩ طب - ١٠٤٣ والظاهرية برقم ٤٧٠٥.

أفضل الدين الخونجى

ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م

هو الإمام العالم الصدر الكامل سيد العلماء والحكفاء، أحد زمانه وعلامة أوانه، أفضل الدين أبو عبد الله محمد بن ناماوار الخونجى، قد تميز فى العلوم الحكيمة، وأتقن الأمور الشرعية، قوى الاشتغال كثير التحصيل^(١).

ويحكى ابن أبى أصيبعة عنه فيقول: اجتمعت به (أى بأفضل الدين الخونجى) بالقاهرة فى سنة ٦٣٢ هـ، فوجدته الغاية القصوى فى سائر العلوم. وقرأت عليه بعض الكليات من كتاب القانون للرئيس ابن سينا، وكان فى الأوقات يعرض له انشدها خاطر لكثرة انصاب ذهنه إلى العلم، وتوفر فكرته فيه. وفى آخر أمره تولى القضاء بمصر، وصار قاضى القضاة بها وبأعمالها.

وتوفى الخونجى بالقاهرة يوم الأربعاء خامس شهر رمضان سنة ٦٤٦ هـ ودفن بالقرافة. وقد رثاه الشيخ عز الدين محمد بن حسن الفنوى الضرير الاربلى.

ولأفضل الدين الخونجى من الكتب : شرح ما قاله الرئيس ابن سينا فى النبض، مقالة فى الخدور والورم، كتاب الجمل فى علم المنطق، كتاب كشف الأسرار فى المنطق، كتاب الموجز فى المنطق، كتاب أدوار الحميات.

(١) ابن أبى أصيبعة ١٩٩/٣ - ٢٠٠

ابن البيطار

ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م

أبو محمد ضياء الدين عبد الله بن أحمد بن محمد الملقى ، ولد بضاحية قريبة من ملقة ، وتعلم على يد العشاب أبي العباس بن الرومية (ت ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م) . وتابع ما كتبه عشابو الأندلس كابن سمجون وابن خلد الغافقي ، وابن وافد اللخمي وعبد الله بن صالح الكتامي صيدلاني بلاط الموحدين ، وأبو الحجاج الإشبيلي ، وأطباء أفريقيا (تونس) ابن الجزار القيرواني ، وأطباء المشرق ، واسحق بن سليمان الاسرائيلي وأبي بكر الرازي وابن سينا وغير هؤلاء .

وقام ابن البيطار برحلة طويلة محفوفة بالمخاطر وبتعاب وفتن ، فغادر الأندلس إلى شمال أفريقيا حتى وصل مصر والشام وآسيا الصغرى .

وحين دخل ابن البيطار مصر عرفه أطباؤها عانا كبيرا في الأدوية ، ووصلت أخباره إلى حاكم البلاد الملك الكامل محمد بن أبي بكر (ت ٦٣٥هـ / ١٢٣٨م) فاحتضنه وأكرمه بسخاء ، وعينه رئيسا للعشابين في مملكته . واحتفظ ابن البيطار بهذا المنصب مدى حكم الملك الصالح نجم الدين (ت ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م) ، وقد وضع له أعظم مؤلفاته وأشهرها الذي سماه الجامع لفردات الأدوية والأغذية . وزار ابن البيطار دمشق ولقى ابن أبي أصيبعة ، وعمل في دمشق بالبيمارستان الكبير النوري واتصل بمهذب الدين الدخوار (ت ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م) وبغيره من البيمارستان .

وليس لدينا معلومات موثقة عما إذا كان ابن البيطار قد مارس الطب بسعة كما يفعل المنتقرون لممارسة هذه المهنة^(١) . وإن كان بعض المؤلفين^(٢) يشير إلى أن بعض مؤلفاته (الدرة البهية) يبحث في علم الأمراض وأعراضها وأسبابها ووظائف كل عضو من الأعضاء ومعالجة كل مرض يصيب ذلك العضو .

وتوفي ابن البيطار سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م ، وله عديد من المؤلفات :

١- الجامع لفردات الأدوية والأغذية . ويعرف بمفردات ابن البيطار ، منه نسخ خطية عديدة في مكتبات العالم ، فيها اثنتان في المتحف العراقي ، أرقامهما ١٨٦٣ و ١٦٩٧٥ .

طبع هذا الكتاب في ٤ مجلدات في مطبعة بولاق سنة ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م ، وعدد صفحاتها كالاتي : ١٧٩ ، ١٧٣ ، ٢١١ صفحة . ثم أعادت مكتبة المثنى ببغداد نشر هذه الطبعة البولاقية بالأوفست . ولا توجد نسخ بالأسواق من هذا الكتاب

وترجم المستشرق لكثيرك هذا الكتاب إلى الفرنسية (٣ مجلدات : باريس ١٨٧٧-١٨٨٣م) وترجمه المستشرق سونتهيمر إلى الألمانية (مجلدان ، شتوتجارت ١٨٧٠ - ١٨٧٢م) كما ترجمه لاموريك ، من أمراء الدولة العثمانية ، إلى التركية العتيقة ، ومن هذه الترجمة نسخة خطية في أوقاف الموصل (٤ : ١٨٥) .

(١) السامرائي ، ان تعريف بابن البيطار ١٠

(٢) خالد ناجي ، ابن البيطار طبيباً ٤٢

وقد أختصر هذا الكتاب « ابن السويدي » المتوفى ٦٩٠هـ / ١٢٩١م، تحت عنوان « مختصر مفردات ابن البيطار » ومنه نسخة خطية فى المكتبة الوقفية بحلب (شرفية) برقم ١٧٣٣. وقد ضمن ابن البيطار كتابه هذا زهاء ألف وأربعمائة مادة علاجية، كان أكثر من ثلثها إضافات على ما ذكره ديوسقوريدس. وقد درس البتانونى (٢٠٠٤) النباتات التى وردت فى جامع ابن البيطار ويعالج بها الكبد، وقد بلغت ٩٥ نوعا يستعمل كثير منها فى علاج الكبد حتى الآن.

٢- الإبانة والإعلام بما فى المنهاج من الخلل والأوهام، نقد فيه كتاب « منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان » لابن جزلة، ومن الإبانة نسخة خطية فى مكتبة الحرم المكى [رقم ٣٦ طب] ترجع إلى القرن الثامن الهجرى، كتبها محمد بن عثمان بن محمد بن الحسين بن على الموصلى.

٣- تفسير كتاب ديوسقوريدس (شرح أدوية ديوسقوريدس) شرح فيه أسماء الأشجار والحشائش والأدوية من كتاب ديوسقوريدس؛ وذكر لبعض الأسماء ما يقابلها بالبربرية واللاتينية المستعملة فى بلاد المغرب لعصره، منه نسخة خطية فى مكتبة الحرم المكى [رقم ٣٦ طب] تاريخها ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م، وقوامها ٣٥ ورقة.

وللأمير مصطفى الشهابى دراسة عن هذا الكتاب المخطوط، فى مجلة معهد المخطوطات العربية (القاهرة ١٠٥-١١٢، ١٩٥٧).

٤- الغنى فى الأدوية المفردة، ويسمى أيضا مفردات ابن البيطار رتبته المؤلف بحسب أعضاء الجسم التى تستطب لها الأدوية المفردة. وقد طبع باللاتينية سنة ١٧٥٨م، ومخطوطته العربية فى باريس (رقم ٦٦٢٥، فى ٣٩٦ ورقة، تاريخها ٧٢٥هـ / ١٣١٥م)، وطوب قابى سراى باستانبول (رقم ٢٠٢١ أ ٧٣٠٧) ومكتبة بلدية الاسكندرية (رقم ١٧٢٧ب) ومعهد الدراسات الشرقية فى كل من لنجراد وطشقند.

٥- ميزان الطبيب.

٦- كتاب الدرة البهية فى منافع الأبدان الإنسانية.

٧- كتاب الأفعال الغريبة والخواص العجيبة.

الأسعد المحلى

هو أسعد الدين يعقوب بن اسحق، يهودى، من مدينة المحلة من أعمال ديار مصر، متميز فى الفضائل، وله اشتغال بالحكمة وإطلاع على دقائقها، وهو من المشهورين فى صناعة الطب والخيرين بالمداواة والعلاج، وأقام بالقاهرة؛ وسافر فى أول سنة ٥٩٨ هـ إلى دمشق، وأقام بها مديدة وجرت بينه وبين بعض الأفاضل من الأطباء بها مباحث كثيرة ونكد، ورجع بعد ذلك إلى الديار المصرية، وتوفى بالقاهرة^(١).

(١) ابن أبى أصيبعة ١٩٥/٣ - ١٩٦

ويحكى ابن أبى أصيبعة^(١) عنه فيقول: ومن نوادره فى حسن المداواة أنه كان بعض أهلنا من النساء قد عرض لها مرض وتغير مزاج، وتطاول بها ولم ينجح فيها علاج فلما افتقدما قال لعمى^(٢)، وكان صديقه، عندى أقراص قد ركيبتها لهذا المرض خاصة وهى تيرأ بها إن شاء الله، تتناول فى كل يوم منها قرصاً مع شراب سكنجيين، وأعطاه الأقراص فلما تناولتها برأت.

وللأسعد المحلى من الكتب مقالة فى قوانين طبية وهى ستة أبواب، كتاب المنزه فى حل ما وقع من إدراك البصر فى المرايا من الشبه، كتاب فى مزاج دمشق ووصفها وتفاوتها من مصر، وأنها أصح وأعدل. وفى مسائل أخر فى الطب وأجوبتها، وهو يحتوى على ثلاث مقالات: مسائل طبية وأجوبتها سألها لبعض الأطباء بدمشق، وهو صدقة بن ميخا بن صدقة السامرى^(٣).

فتح الدين القيسى

ت بعد ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م

هو أبو العباس أحمد بن جمال الدين ابن أبى الحوافر، من أطباء القاهرة فى القرن السابع الهجرى. وهو ابن القاضي جمال الدين طبيب الملك الكامل الأيوبي (٦٣٧ هـ / ١٢٣٨ م)، اشتهر بالطب وصار رئيساً لأطباء مصر. توفى بعد ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م. له كتاب بطب العيون باسم: نتيجة الفكر فى أمراض البصر^(٤).

التيفاشى

ت بحدود ٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م

أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبى بكر التيفاشى، وله من الكتب:

١- الشفاء فى الطب المسند عن المصطفى (دار الكتب المصرية).

٢- الوافى بالطب الشافى.

٣- سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، وقد حققه ونشره إحسان عباس فى بيروت سنة ١٩٨٠ م.

٤- أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار (مكتبة حسن حسنى عبد الوهاب والكونجرس الأمريكى

وغيرها)^(٥). وقد حقق الكتاب الأخير وطبع فى مصر.

(١) ابن أبى أصيبعة ١٩٦/٣

(٢) أبو الحسن على بن خليفة بن يونس بن أبى القاسم بن خليفة، عم ابن أبى أصيبعة.

(٣) صدقة بن ميخا بن صدقة السامرى، توفى بمدينة حران فى سنة ثيف وعشرين وستمائه وهو يهودى له كتاب فى

شرح التوراة.

(٤) السامرائى، تاريخ الطب، ٥٣٤/٢، حُجى خليفة ١٩٢٦.

(٥) السامرائى، تاريخ الطب ٤٩٩/٢ - ٥٠٠.

الكوهين العطار

ت ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م

هو أبو المنى داود بن أبي نصر بن حفاظ المعروف بالكوهين العطار الإسرائيلي الهاروني بالقاهرة^(١) وكان عميد الصيدلة في أيام الأيوبيين. وهو من تلاميذ الشيخ السديد أبي البيان. وقد جمع لنفسه ولولده سنة ٦٥٨ هـ كتاباً جيداً في الصيدلة باسم: منهاج الدكان ودستور الأعيان في أعمال وتراكيب الأدوية النافعة للأبدان. وكان دستوراً للصيدلة يومئذ، واستمر كذلك قرناً. ويضم الكتاب خمسة وعشرين باباً كالآتي:

- ١ - فيما ينبغي لمن استصلح نفسه أن يكون متقلاً بعمل هذه المركبات أن يكون على غاية من الدين والثقة والتحرر والخوف من الله تعالى أولاً ومن الناس ثانياً.
- ٢ - في عمل الأشربة وطبخها وما يصلحها إذا فسدت.
- ٣ - في الربوب وتربيتها.
- ٤ - في المربيات وكيفية تربيتها.
- ٥ - في المعاجين وعجنها.
- ٦ - في الجوارشنات وتركيبها.
- ٧ - في السفوفات ودقها.
- ٨ - في الأقراص وتقريصها.
- ٩ - في اللعوقات وعملها.
- ١٠ - في الحبوب وتحبيبها وبنادق البذور وحب رمى الدود.
- ١١ - في الأيارجات والمطبوخات والترياق وفي غسل الصبر وتدبيرها.
- ١٢ - في الأكحال وسحقها.
- ١٣ - في عمل الشياقات وعجنها.
- ١٤ - في المراهم وطبخها.
- ١٥ - في الأدهان وكيفية اتخاذها.
- ١٦ - في الأطلية واللطوخت.
- ١٧ - في أدوية الفم والسنونات.
- ١٨ - في الفتايل المسهلة والقابضة والفرزجات والحقن.
- ١٩ - في الضمادات والجبارات والسعوطات والنقوخت.
- ٢٠ - في إبدال الأدوية التي يتعذر وجودها في الوقت الحاضر إذا دعت الضرورة إلى تركيبها، على حروف المعجم.

- ٢١- فى شرح أسماء الأدوية التى يمكن أن يحتاج إليها فى تركيب الأدوية وربما جهلت عند بعض الناظرين فيه من الصيادلة مرتبة على حروف المعجم.
- ٢٢- فى الأوزان والمكاييل على حروف المعجم.
- ٢٣- فى وصايا ينتفع بها.
- ٢٤- فى كيفية اتخاذ الأدوية المفردة وفى أى زمان تجنى ومن أى مكان وكيف تخزن وأى الأوعية فيها تخزن وما يفسدها وما يصلحها إذا بدا فيها الفساد وذكر ما يعمل مع بعض الأدوية ليمتنع فسادها وفى أعمار الأدوية المفردة والمركبة.
- ٢٥- فى امتحان الأدوية المفردة والمركبة ووصف حال الجيد منها.
- ويقول عن الكتاب إنه جمعه مختاراً من عدة أقرىاضينات مختارة مما يستعمل فى هذا الزمان كالإرشاد والملكى والمنهاج وأقرىاضين ابن التلميذ والدستور وغير ذلك من كتب الطب النفيسة، ومما نقله عن ثقات من العشابين وما امتحنه وجربه بيده وأخذته عن ثقة جربه من امتحان الأدوية المفردة والمركبة، ومما نقله من مشايخ عصرهم ثقات مشغولين بهذه الصناعة الجليلة.
- ومن الكتاب نسخ خطية كثيرة فى مكتبات العالم. وطبع غير مرة فى القاهرة منذ ١٢٨٧هـ وتوجد طبعة أخيرة طبعتها الحلبي سنة ١٩٧١م. وكلها طبعات غير محققة. ولكن العشابين يجعلونها دستوراً لهم، على رغم ما بها من تصحيف، ولذلك ينبغى أن تحقق حتى لا يستعمل العشابون نباتات غير حقيقية.

ابن أبى أصيبعة

ت ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م

الشيخ موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجى، الطبيب المعروف بابن أبى أصيبعة كان فاضلاً وعالماً فى الطب والأدب والتاريخ، وله شعر كثير منه مامدح به صاحب أمين الدولة. وكان أبوه كحالاً، ودرس صنعته فى مصر ومارسها فى دمشق.

ولد أحمد بن القاسم بدمشق فى سنة ٦٠٠ هـ فى بيت علم وأدب وأشتهر أبوه فى عاصمة الأمويين بعلاجه للعيون أو ماكانوا يسمونه بالكحال فى ذلك الزمن. وبعد أن أتقن العلوم اللسانية على علماء زمانه انصرف إلى تلقى علوم الطب عن والده وغيره. وكانت القاهرة فى عهده ملتقى السبل وملتقى العلماء، والدولة الأيوبية فى عز مجدها وسؤدها، تعمل على محاربة الإفرنج الصليبيين الذين غزوا البلاد وحاولوا استعمارها، فسافر إلى القاهرة، وكان ذلك فى حكم الملك الكامل محمد الأيوبي المتوفى سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م، والتحق بالبيمارستان الصلاحى، حيث كان يعمل فيه ابن النفيس رفيقه فى المدرسة الدخوارية بدمشق^(١) وتوفى بصرخد فى جمادى الأولى سنة ٦٦٨ هـ.

(١) أحمد عيسى، معجم الأطباء، ١١٤، السامرائى، تاريخ انطب العربى ١١٩/٢ - ١٢١، هداية العارفين ٩٦/١.

وله من المؤلفات :

١- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، وهو أشهر كتبه. ومنه أخذنا الكثير عن تاريخ الأطباء.

٢- حكايات الأطباء في علاجات الأدوية.

٣- معالم الأمم وأخبار ذوى الحكم.

٤- كتاب التجارب والفوائد.

٥- كتاب إصابات المنجمين.

ولقد اشتهر ابن أبى أصيبعة بكتاب واحد هو عيون الأنباء، وظل هذا الكتاب ذخراً له على ممر العصور لأنه فريد في بابه، ويحتوى على الكثير من التراجم التى لولا ذكرها فى هذا الكتاب لضاعت ولما عرفنا عنها أى شىء.

وقد استلفت هذا الكتاب نظر الإفرنج فقتبعوه، وقام المستشرق الألمانى مولر بطبعه نقلاً عن نسختين خطيتين عثر عليهما وذلك فى سنة ١٨٨٤م، وبعدها قامت المطابع المصرية بطبع الكتاب نقلاً عن طبعة المستشرق مولر وهى الطبعة الأولى والوحيدة عن هذا الكتاب. وقد أصبحت نادرة الوجود. وفى هذا القرن ظهرت طبعات مختلفة لهذا الكتاب.

يقول ابن أبى أصيبعة عن كتابه هذا :

فأما هذا الكتاب الذى قصدت حينئذ إلى تأليفه فإنى جعلته منقسماً إلى خمسة عشر باباً، وسميته «كتاب عيون الأنباء فى طبقات الأطباء» وخدمت به خزانة المولى صاحب الوزير العالم العادل، الرئيس الكامل، سيد الوزراء ملك الحكماء إمام العلماء شمس الشريعة أمين الدولة كمال الدين شرف الله أبى الحسن بن غزال بن أبى سعيد آدم سعادته، وبلغه فى الدارين إرادته، ومن الله تعالى استمد التوفيق والمعونة إنه ولى ذلك والقادر عليه وهذا عدد الأبواب :

الباب الأول : فى كيفية وجود صناعة الطب وأول حدوثها.

الباب الثانى : فى طبقات الأطباء الذين ظهرت لهم أجزاء من صناعة الطب، وكانوا المعتدين بها.

الباب الثالث : فى طبقات الأطباء اليونانيين الذين هم من نسل اسقليبيوس

الباب الرابع : فى طبقات الأطباء اليونانيين الذين أذاع أبقراف فيهم صناعة الطب.

الباب الخامس : فى طبقات الأطباء الذين كانوا منذ زمان جالينوس وقریباً منه.

الباب السادس : فى طبقات الأطباء الإسكندرانيين ومن كان فى زمنهم من الأطباء النصارى وغيرهم.

الباب السابع : فى طبقات الأطباء الذين كانوا فى أول ظهور الإسلام من أطباء العرب.

الباب الثامن : فى طبقات الأطباء السريانيين الذين كانوا فى ابتداء ظهور دولة بنى العباس.

الباب التاسع : فى طبقات الأطباء النقلة الذين نقلوا كتب الطب وغيره من اللسان اليونانى وإلى اللسان

العربى وذكر الذين نقلوا عنهم.

الباب العاشر : فى طبقات الأطباء العراقيين وأطباء الجزيرة وديار بكر.

الباب الحادى عشر: فى طبقات الأطباء الذين ظهوروا فى بلاد العجم.

الباب الثانى عشر: فى طبقات الأطباء الذين كانوا من الهند.

الباب الثالث عشر: فى طبقات الأطباء الذين ظهوروا فى بلاد المغرب وأقاموا بها.

الباب الرابع عشر: فى طبقات الأطباء المشهورين من أطباء ديار مصر.

الباب الخامس عشر: فى طبقات الأطباء المشهورين من أطباء الشام.

ابن النفيس

٦٠٧- ٦٨٧ هـ / ١٢١٠- ١٢٨٨ م

أبو العلاء علاء الدين على بن أبى الحزم القرشى المشهور بابن نفيس. ولد بقرية قَرْش (بفتح القاف وسكون الراء) القريبة من دمشق سنة ٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م واليها ينسب.

كانت مصر والشام فى ذلك العهد دولة واحدة تعاقب على حكمها خلفاء الفاطميين ثم الأيوبيين فالمماليك.

درس الطب بدمشق على مذهب الدين عبد الرحيم الدخوار (ت ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م) وعلى عمران الاسرائيلى (٥٦١ - ٦٣٧ هـ / ١١٦٥ - ١٢٣٩). وكانت دمشق يومئذ تحت حكم الأيوبيين المعروفين باهتمامهم برعاية العلوم وتعضيد العلماء والأطباء، والترحيب بالوافدين والهاربين من بغداد عندما وصلتهم أخبار المغول المتريصين لغزو المشرق الإسلامى. فاحتاط ابن النفيس لنفسه ونزح إلى القاهرة عاصمة الأيوبيين قبل عشرين سنة من دخول المغول إلى بغداد سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م^(١) وربما كان استدعاؤه من قبل السلطان الكامل محمد الأيوبي إلى مصر عندما أشتهر وعلا ذكره، وقد يكون ذلك سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٦ م^(٢).

وكانت القاهرة يومئذ فى ذكرى أطبائها الأكابر أمثال ابن رضوان (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م)، وابن جميع (ت ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م) وابن العين زربى (ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م)، وابن المدور (ت ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م)، وابن الناقد (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) وابن القضاعى (ت ٥٩٨ هـ / ١١٩٦ م). كما كان فى القاهرة يومئذ الكمال نفيس الدين بن الزبير وابن الخونجى، وابن البيطار، وفيها أيضا البيمارستان الصلاحى أو العتيق، والبيمارستان الناصرى الذى يفضل عموم البيمارستانات فى الأقطار الإسلامية^(٣).

والتحق ابن النفيس بالبيمارستان الصلاحى، ثم صار رئيساً له، وعميداً للمدرسة الطبية الملحقة به، ويتردد أنه انتقل إلى بيمارستان قلاوون إثر اكتمال عمارته فى سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م^(٤)، وزامله بهذا

(١) غليونجى - كتاب ابن النفيس ص ٧٨، السامرائى ح ٢ ص ٦٧.

(٢) قطاية: ابن النفيس ص ٤٠

(٣) أحمد عيسى - البيمارستانات فى الإسلام ص ٨٣ - ١٧١

(٤) السامرائى ح ٢ / ٦٨

البيمارستان ابن أبي أصيبعة الخزرجى رفيق صفه فى مدرسة الدخوار بدمشق، وزميله فى البيمارستان النورى الكبير بها. ولكن الدكتور قطاية^(١) يشكك فى ترده على المنصورى حيث يقول: إنه بنى عام ١٢٨٥م أى قبل وفاة ابن النفيس بقليل وحينما أوشك أن يصل إلى الثمانين من عمره.

وقد اشتهر ابن النفيس بعلمه وطبه حتى أصبح رئيساً لأطباء مصر وطبيباً للملك الظاهر بيبرس البندقدارى. ولا يسعنا إلا أن نذكر ما أورده أحمد عيسى^(٢) عن المراجع المختلفة فى صفه ابن النفيس وهاك جانباً منها: «فرد الدهر وواحد، وأخو كل علم ووالده، إمام الفضائل،

وتمام الأوائل، والجبل الذى لا يرقا علاه بالسلام، والجبل الذى لا يعلق به إلا الغريق السالم... ولم يكن على علم واحد بمقتصره».

كان ابن النفيس إلى جانب تنطسه فى الطب، فيلسوفاً، وعالماً بالتاريخ، وفقهياً بالشريعة الإسلامية، ومتديناً على المذهب الشافعى، ولم يقرب الخمر فى حياته، وإنه دفعها عن فمه باشمزاز لما أراد الأطباء أن يسقوه وهو يقاسى عذاب المرض إذ كان صالحاً لعلته على مازعموا أن يتناول شيئاً منه وقال: لا ألقى الله تعالى وفي باطنى شيء من الخمر.

وكان إماماً شافعيًا كبيراً، حتى لقب: بالصدر، والإمام، والرئيس، وابن سينا الثانى، حتى إن بعض المخطوطات تضيف: رضى الله عنه وأرضاه^(٣).

وكان يتردد على المدرسة السرورية التى أسسها شمس الخواصى مسرور أحد موالى صلاح الدين، حيث كان يدرس الشريعة والفقه حسب المذهب الشافعى^(٤).

وعاش ابن النفيس غير متزوج منصرفاً كلية لعلمه، وعمر طويلاً إذ ناهز الثمانين من العمر، وابتنى داراً بالقاهرة وفرشها بالرخام حتى إيوانها، وكان مجلسه يكتظ بالعلماء وأعيان القاهرة وطلاب العلم والأدب والشريعة والطب. فكان يحضر مجلسه فى داره جماعة من الأمراء والمهذب ابن أبى حليقة رئيس الأطباء وشرف الدين بن صغير، ومن تلاميذه الأعيان البدر حسن الرئيس وأمين الدولة ابن القف والسديد الدمياطى وأبى القرج السكندرى وأبى القرج بن صغير. ووقف داره وكتبه على البيمارستان المنصورى الذى خدم فيه ما يقارب الخمسين سنة.

كان ابن النفيس علامة فى المعرفة الطبية، وعلى رغم غزارة معلوماته فى الصنعة، ووفرة مؤلفاته فيها، وكثرة بحوثه الأصلية فى علومها الأساسية، فإنه لم يكن ممارساً حاذقاً بقدر ما كان عالماً مبتكراً^(٥)، وكان كثير القراءة والكتابة، حتى روى عنه أنه «إذا أراد التصنيف توضع له الأقلام المبرية، ويدير وجهه إلى الحائط، ويأخذ فى التصنيف إملاء من خاطره، ويكتب مثل السيل إذا انحدر، فإذا كل القلم وحفى روى

(١) قطاية - ابن النفيس ص ٤١

(٢) أحمد عيسى، معجم الأطباء ص ٢٩٢ - ٢٩٦

(٣) قطاية، ابن النفيس ص ٤٠

(٤) نفس المصدر ص ٤١

(٥) أحمد عيسى، معجم الأطباء ٢٩٥ - ٢٩٦ و ابن إياس - المختار من بدائع الزهور فى وقائع الدهور ص ٩٢ - ٩٣

به وتناول غيره لثلا يضيع عليه الزمان فى برى القلم». وروى عنه أيضا أنه «دخل مرة إلى الحمام؛ فلما كان تغسيله خرج إلى مسلخ الحمام، واستدعى بدواة وقلم وورق، وأخذ بتصنيف مقالة فى النبض إلى أن أنهأها ثم عاد ودخل الحمام وأكمل تغسيله».

ويقال^(١) إنه قال: «لو لم أعلم أن تصانيفى تبقى بعدى عشرة آلاف سنة ما وضعتها».

ويذكر السامرائى^(٢) عن ترجمة حياة ابن النفيس، فيقول: «إن ابن أبى أصيبعة الذى زامل ابن النفيس فى دمشق والقاهرة لم يذكر فى كتاب طبقات الأطباء حتى مجرد اسمه، فافترض الكتاب المعاصرون أن مؤلف هذا الكتاب قد أهمل ذكر ابن النفيس بغضاً له وحسداً لمقامه العالى الذى يتمتع به فى القاهرة. وقد عثر حديثاً فى المكتبة الظاهرية بدمشق على مخطوطة من كتاب عيون الأبناء لابن أبى أصيبعة غير النسخة المطبوعة المألوفة لدينا، يقول فيها المؤلف عن ابن النفيس: إنه كان شجاعاً فاضلاً كالبهر الخضم، والطود الأشم للعلوم... ولو لم يكن له غير شرح غوامض القانون (يقصد قانون ابن سينا فى الطب) لكفى به دليلاً على غزارة فضله^(٣). ويجب أن نذكر أن هذه الإشارة قد وضعت بصيغة الماضى كما هو واضح بينما عاش ابن النفيس عشرين سنة بعد وفاة ابن أبى أصيبعة، وعلى هذا تكون تلك الإشارة من صنع النساخ لا بقلم المؤلف».

ويقول السامرائى^(٤): «لقد كان ابن النفيس آخر ومضة من سراج العلوم عند العرب، فلم يعرف بعده من كان مثله أو ما يقاربه علماً وابتكاراً فى البحث العلمى، ولسوء الحظ لم يعقبه أحد من العرب من يهوى الكشف عن المعارف الجديدة ليستفيد من المبادرات القيمة التى أرساها ابن النفيس للمعنيين بموضوعى التشريح والفسيولوجيا».

وتوفى ابن النفيس فى القاهرة سنة ٦٨٧هـ/١٢٨٨م، وذلك يوم الجمعة الحادى والعشرين من ذى القعدة. وفى طبقات الشافعية توفى فى ١١ ذى القعدة سنة ٦٨٩هـ عن نحو ٣٠ سنة، وفى طبقات الشافعية لابن الملقن مات بالقاهرة سنة ٦٨٧هـ بمنزله بالمنصورة وقد قارب الثمانين.

ابن النفيس والتشريح

تختلف وجهات نظر الباحثين تجاه قيام ابن النفيس بتشريح جثة الإنسان. فهى بين منكر ومؤيد، أو مكتف بأن ابن النفيس شرح جثة الحيوانات فقط. ولعل المنكرين يخفون من وراء أفكارهم رغبة فى إبداء أن ما اكتشفه ابن النفيس فى الدورة الصغرى كان محض صدفة أدت إلى فرضية سعيدة، أى افتراض نظرى تتطابق مع الحقيقة عن طريق الصدفة، وهذا ما رآه ماكس مايرهوف (١٨٧٤ - ١٩٤٥). أما الفريق الذى

(١) أحمد عيسى، معجم الأطباء، ص ٢٩٥

(٢) السامرائى ٢/ ٦٨ - ٦٩

(٣) غليونجى ص ٧٣

(٤) السامرائى ٢/ ٧٣

يعتقد أن ابن النفيس قد شرح جثة الإنسان، فلهذه العديد من البراهين، معتمدين على ما ذكره ابن النفيس رداً على جالينوس في وصف الدماغ، وعلى ابن سينا في وصفه للأعصاب القحفية، وعلى جالينوس في تشريح الأقفية الصفراوية. وفي ردوده ما يؤكد اطلاعه العملي على التشريح، وأنه شاهد هذه الأشياء مراراً. وسنوضح فيما بعد ما يؤكد أن ابن النفيس مارس التشريح عملياً، على رغم أنه قال في مقدمه كتاب «شرح التشريح» : « وقد صدنا مباشرة التشريح وازع الشريعة وما في أخلاقنا من رحمة. فإن الدكتور قطاية^(١) يؤكد أن ابن النفيس مارس التشريح، ولكنه مارسه في السر، مؤكداً أن فكرة تحريم تشريح الجثة الإنسانية، فكرة شعبية عامة نابعة من الاحترام الشديد للأجداد والموتى، ولا علاقة لها بالدين وتعاليمه، واستشهد بما ذكره الشيخ العروسي لكلوت بك في هذا الشأن. إذ يذكر كلوت بك أنه توصل إلى الحصول على موافقة العروسي لتدريس التشريح لكنه أخذ منه عهداً بالأى يفعل إلا باحتراس وسرية.

ولذلك فإننا نعتقد كما يرى الدكتور قطاية وغيره مثل الدكتور سامى حداد والدكتور بول غليونجي والدكتور كمال السامرائي أنه ليس هناك ما ينفي أن ابن النفيس قد قام بتشريح جثة الإنسان ولكن في سرية، مراعاة لمشاعر العامة. ويقول تاتون^(٢) في هذا الموضوع : « وإذا كان ابن النفيس قد اضطر إلى التصريح بأنه لم يمارس التشريح الجراحى، فإن كتاباته لا تسمح بالشك فى أنه قد قام بتجارب مباشرة، ثم إنه من الناحية التشريحية قد قام باكتشاف لا ينازعه فيه أحد.

إسهامات ابن النفيس العلمية فى التشريح

١ - دخول الدم إلى الدماغ

يقول جالينوس، فى وصف دخول الدم إلى الدماغ، « يصل الدم إلى الدماغ فى القسم الذى يسميه البعض الدماغ المقدم، عبر الأم الجافية التى تنقسم الدماغ إلى قسمين... ». ورد عليه ابن النفيس فى كتابه « شرح التشريح » : « إن الروح الحيوانى ينفذ أولاً إلى البطن المؤخر ثم ينفذ بعد ذلك إلى البطنين الآخرين، وهىئة التشريح تصدق ذلك وتكذب قولهم، فإن نفوذ الشرايين إلى داخل القحف معلوم أنه لا يكون من البطن المقدم ». ويعلق الدكتور قطاية على ذلك بأن هذا صحيح كل الصحة.

٢ - الأعصاب القحفية

يقول ابن سينا فى وصف الزوج السادس من الأعصاب القحفية (أى العصب التاسع والعاشر والحادى عشر من التسمية الحديثة) « وأما الزوج السادس فإنه ينبت من مؤخر الدماغ متصلاً بالخامس مشدوداً معه بأغشية وأربطة كأنهما عصبية واحدة، ويخرج من الثقب الذى فى منتهى الدرز اللامى ».

(١) قطاية- ابن النفيس ٥٠ - ٥١

(٢) تاتون- تاريخ العلوم العام ص ٥١٣

ويعلق عليه ابن النفيس بقوله : « قوله متصل بالخامس مشدوداً معه وأعشية وأربطة ، إنى إلى الآن لا أعرف لهذا الاتصال حكمة ولم أتحقق من صحته ، فإن منشأ هذا الزوج خلف منشئه الخاص ، ومخرجه خلف مخرجه ، فلم يتقدم حتى يرتبط بالخامس ثم يتأخر ليخرجه » .
وعلق الدكتور قطاية^(١) بقوله : وهو نقد صحيح .

٣- تشريح الأقنية الصفراوية

يقول جالينوس فى تشريح الأقنية الصفراوية : « ... سترى (عند التسلخ أى التشريح) القناة التى تجرى من حويصل الصفراء إلى بداية الماء الاثنى عشر تحت البواب بقليل وسترى فى بعض الحيوان النقطة التى تتضخم فيها نهاية المعى الدقيق حول البواب... وفى الوقت نفسه سترى قناة صغيرة تذهب أسفل مع الوريد الذاهب إلى الاثنى عشر يتجه إلى الأسفل... » .

ويكرر ابن سينا الخطأ نفسه فيقول : « ... وهذا المجرى (أى القناة الصفراوية) تتصل أكثر شعبه بالاثنى عشر ، ربما اتصل شئ صغير منه بأسفل المعدة ، وربما وقع الأمر بالصد فصار الأكبر المتصل بالوعاء الأغظ إلى أسفل المعدة والأصغر إلى الاثنى عشر » .

ويقول الدكتور قطاية^(٢) ، أول من أبدى هذه الملاحظة ، أنه إذا عدنا إلى كتاب أندريا فيزاليوس A. Vesalius (١٥١٤-١٥٦٤م) الذى يعتبره الغرب مؤسس علم التشريح ، نجده يقع فى الخطأ نفسه ، وكذلك فعل ليوناردو دافنشى L. De Vinci (١٤٥٢-١٥١٩م) فى رسومه التشريحية الشهيرة .

ويبين الدكتور قطاية : كرروا جميعاً خطأ جالينوس .. ماعدا ابن النفيس الذى يقول منتقداً جالينوس الذى ادعى أن « المرارة ينفذ منها إلى الأمعاء مجرى آخر تنفذ منه الصفراء إلى تجاويف الأمعاء . وهذا لامحالة باطل ، فإن المرارة شاهدناها مراراً ، ولم نجد فيها ماينفذ لا إلى المعدة ولا إلى الأمعاء » .

وهكذا فقد صحح ابن النفيس خطأ جالينوس ومن تبعه قبل المشرحين الغربيين بقرون عدة . ويقول الدكتور قطاية^(٣) : « وهذا اكتشاف جديد يضاف إلى اكتشاف ابن النفيس للدورة الدموية الصغرى .

٤- تشريح العظام والمفاصل

يقول ابن النفيس : « أما تشريح العظام والمفاصل ونحوهما فيسهل فى الميت من أى سبب كان موته ، وأسهل ما يكون إذا مضى على موته مدة فنى ما عليه من اللحم حتى بقيت العظام متصلة بالأربطة ظاهرة ، فإن هذا لايفتقر فيه إلى عمل كثير حتى يوقف على هيئة عظامه ومفاصله » .

ونفهم من هذه العبارة أن ابن النفيس كان يمارس تشريح الانسان على أجداث الموتى ، أو على الأقل على عظامه ومفاصله ، وإلا فكيف علم أن ربطة المفاصل لاتنفى إلا بعد فناء اللحم (السامرائى ص ٧٠) .

(١) قطاية - ابن النفيس ص ٥٧

(٢) قطاية - ابن النفيس ص ٥٨

(٣) قطاية - ابن النفيس ص ٥٨

٥- تشريح العروق الصغار

يقول ابن النفيس: أما تشريح العروق الصغار التى فى الجلد، وما يقارب منه، فيعسر فى الأحياء لما بيناه، وكذلك فى الموتى الذين ماتوا لمرض ونحوه وخصوصاً ما كان من الأمراض ما يلزمه قلة الدم والرطوبات، فيخفى تلك العروق، كما فى الإسهال والدق (السل) والنزف.

٦- اكتشاف الدورة الدموية الصغرى

يعد اسم ابن النفيس و الدورة الدموية الصغرى مرادفين فى تاريخ الاكتشافات الطبية، فقد كان السائد، كما ذكر جالينوس، أن الدم يمر من البطين الأيمن إلى البطين الأيسر عبر ثقب أو منافذ موجودة فى الجدار الفاصل بين البطينين لكنها غير مرئية. وزعم ابن سينا أن فى القلب ثلاثة بطينات لا اثنتان: أيمن ينصب فيه الدم، وأوسط يستعد فيه، وأيسر يتروح فيه، أى يمتزج بالهواء المحمل بالروح الحيوية القادمة من الرئتين عن طريق الشريان الرئوى (الذى يسمى اليوم بالأوردة الرئوية). وكانت الفكرة السائدة أنه لا صلة بين الشرايين والأوردة إلا عبر المنافذ غير المرئية فى القلب، والجهاز الوريدي منفصل عن الجهاز الشرياني. ولكن العالم العربى ابن النفيس انتقد تلك النظرية ووضحها فى كتابه «شرح التشريح» وجاء بالنظرية الصحيحة علمياً.

ويقول ابن النفيس :

«.... وهذا التجويف هو التجويف الأيمن من تجويف القلب، وإذا لطف الدم فى هذا التجويف فلا بد من نفوذه فى التجويف الأيسر حيث يتولد الروح، ولكن ليس بينهما منفذ، فإن جرم القلب هناك مصمت، ليس فيه منفذ ظاهر كما ظنه جماعة، ولا منفذ غير ظاهر يصلح لنفوذ هذا الدم كما ظنه جالينوس. فإن مسام القلب هناك مستحصفة وجرمه غليظ. فلا بد وأن يكون هذا الدم إذا لطف نفذ فى الوريد الشرياني إلى الرئة ليذوب فى جرمها ويخلط الهواء، ويتصفى الطف مافيه، وينفذ إلى الشريان الوريدي ليصل إلى التجويف الأيسر من تجويف القلب وقد خالط الهواء وصلح لأن يتولد منه الروح.....».

ويقول أيضاً: « قوله (أى قول جالينوس) وإيصال الدم الذى يغذى الرئة إلى الرئة من القلب، هذا هو الرأى المشهور، وهو عندنا باطل».

ويقول كذلك: «قوله (أى قول ابن سينا) وفيه ثلاثة بطون، هذا كلام لا يصح فإن القلب له بطينان فقط، أحدهما مملوء من الدم وهو الأيمن، والآخر مملوء من الروح وهو الأيسر، ولا منفذ بين هذين البطينين البتة، وإلا كان الدم ينفذ إلى موضع الروح فيفسد جوهرها، والتشريح يكذب ما قالوه».

ولقد وصف ابن النفيس الشرايين الإكليلة التى تغذى عضلة القلب: إن غذاء القلب إنما هو من الدم المار فيه من العروق المارة فى جرمه. وجميع الأدلة تؤكد أن ابن النفيس كان أول من اكتشف وجود الدورة

الدموية الصغرى، أما هارفى الإنجليزى^(١) المتوفى سنة ١٦٥٧م والذي قيل عنه وهما أنه كان أول من عرف الدورة الدموية الصغرى، فإنه قد بحث فى دورة الدم بعد ما يزيد على الثلاثة قرون ونصف من وفاة ابن النفيس. والتسلسل التاريخى لنشر وترجمة كتاب شرح تشريح القانون يؤكد ذلك ويوضحه.

ترجم أندريا ألباجو^(٢) A. Alpago (١٤٥٠ هـ - ١٥٢٢ م) عدداً من الكتب العربية، خاصة القانون لابن سينا، وقد درس اللغة العربية، وأتقنها إلى حد أنه يقول فى أحد كتبه : «... أن أشرح بترتيب أبجدى، وبأحسن ما يمكننى من المهارة كل الكلمات الموجودة فى هذه الكتب لابن البيطار وابن النفيس...». وقد قيل: إن القسم المتعلق بالدورة الدموية فى الرئة كان أحد تلك الأقسام التى ترجمها ألباجو. إلا أن هذه الترجمة قد فقدت. وأن ما نشره شمعون السمعاني^(٣) سنة ١٧٩٢م عن فهرس مكتبة عائلة الكونت نانى Nani فى البندقية، أوضح وجود مخطوطة لشرح التشريح لابن النفيس نسخت سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٣م.

وخلال الفترة الواقعة بين سنة ١٢٨٨م على وفاة ابن النفيس وسنة ١٥٤٧م تاريخ نشر ترجمة ألباجو، لم يتحدث أحد قط عن الدورة الدموية فى أوروبا. ولكن وبعد ذلك التاريخ انطلقت الأقلام تكتب فى ذلك^(٤). وبعد ترجمة ألباجو لشرح القانون بأقل من سنوات، صدر كتاب إصلاح المسيحية Christianimi Restitues سنة ١٥٥٢م مؤلف من سبعمائة صفحة يتحدث عن اللاهوتيات، وينتقد التعليم السائد فى ذلك الزمان، ماعداً ست صفحات تتحدث عن تشريح القلب والدورة الدموية الصغرى. وقد ألفه راهب أسباني هو ميشيل سرفيتوس M. Servitus، وهو غير عالم بالطب، درس اللاهوت بسرقسطة، والتوراة بتولوز بفرنسا. والتحق بقسم التشريح فى جامعة باريس. ولعل ما أدخله من معلومات طبية كان منها ما قرأه فى ترجمة ألباجو لكتاب شرح القانون.

وقد أثار كتابه ضجة فى أوروبا، فطرد من جامعة باريس، وتشرّد بين المدن وانتهى أمره فى سنة ١٥٥٣م بالإعدام حرقاً هو وكتبه فى جنيف. ومن حسن الحظ أن الكتاب الذى يحتوى على وصف الدورة الدموية فى الرئة لم تمسه النار، فقرأه الناس على أنه من عمل سرفيتوس؛ لا منقولاً عن ترجمة ألباجو لكتاب ابن النفيس.

وبعد نشر كتاب سرفيتوس بعام واحد، نشر عالم ألباني آخر من بلدة سرفيتوس نفسها، ومن الثقافة نفسها، يدعى فالفردي دوهمسكو.... Valverde de Hamusco كتاباً بعنوان «التشريح وتاريخه» سنة ١٥٥٤ م، وفيه ذكر للدورة الدموية.

(١) هارفى - طبيب وعالم فسيولوجى انجليزى مارس مهنته فى بلاط الملك شارل الأول، وبحث فى الدورة الدموية بجامعة لندن ونشر عمله بعنوان فى التشريح عن نبض القلب وحركة الدم فى الحيوان. توفى بعمر يقرب من الثمانين سنة ١٦٥٧ م

(٢) أندريا ألباجو طبيب إيطالى ذهب إلى دمشق مكث فيها قرابة الثلاثين عاماً، وترجم الكثير، ومن الجملة، مقاطع من شرح القانون لابن النفيس

(٣) راهب مارونى لبنانى كان أستاذاً للغات الشرقية فى الفاتيكان ثم فى باروق (١٧٥٢ - ١٨٢١ م)

(٤) قطاية - ابن النفيس ص ٧٣

وبعد ذلك بعام، أى سنة ١٥٥٥م، ظهرت الطبعة الثانية لكتاب فيزاليوس^(١) وفيها وصف لتشريح القلب والدورة الدموية، رغم أن الطبعة الأولى لم تذكر شيئاً عن الدورة الدموية، بل بضع جمل مقتضبة عن تشريح القلب وفيها يؤكد عدم وجود ثقب بين بطيني القلب.

ويعلق الدكتور قطاية^(٢) على هذا السرد التاريخي فيقول : كان فى بادوفا نسخة من كتاب شرح التشريح لابن النفيس وهى التى جلبها الباجو معه من دمشق.

كان الأطباء الأساتذة فى بادوفا، وكل أوروبا، يتكلمون العربية وعلى رأسهم فيزاليوس، الذى لم يتعرض للدورة الدموية فى كتاب إلا فى طبعته الثانية، بعد أن نشر سيرفيتوس وفالفيرو وصفاً لها فى كتابيهما. وتوالت النشرات والكتب التى تحوى الدورة الدموية الصغرى ففى بادوفا سنة ١٥٥٩م. أصدر ريكالدو كولومبو R. Colombo أستاذ الجراحة كتاباً «عن التشريح» وفيه ذكر لتشريح القلب والدورة الدموية الصغرى. وفى عام ١٥٧١م نشر اندريا سيزالپينو A. Caesalpino كتاباً بعنوان «مواضيع المشائين» ذكر فيه الشيء نفسه، وكان أول من استعمل كلمة دورة.

ثم جاء، الإنجليزى هارفى W. Harvey إلى بادوفا للدراسة وتلمذ على الأستاذ فابريسيوس Fabrizio، ومكث فيها من عام ١٥٩٧ إلى ١٦٠٢م، أى خمسة أعوام، لايد أنه اطلع فيها على كل الكتب المتعلقة بالتشريح، وبالدورة الدموية بشكل خاص، نظراً لاهتمامه بالموضوع، وربما كان يتقن العربية واطلع على كتاب ابن النفيس.

وفى عام ١٦٢٨ م نشر هارفى كتاب «دراسة تشريحية تحليلية لحركة القلب والدم فى الحيوان».

Exercitatio Anatomica de Motu Cordis and Sanguinis in Animalibus

ومنذ ذلك الحين، والعالم يتوهم أن هارفى هو مكتشف الدورة الدموية الصغرى، حتى جاء طبيب مصرى، هو محبى الدين التطاوى^(٣)، وكان يبحث فى المخطوطات الموجودة فى مكتبة برلين عام ١٩٢٠م ليحدد موضوع أطروحة لنيل الدكتوراه فى الطب البشرى، فى موضوع تاريخ الطب العربى وظهرت بين يديه المخطوطة رقم ٦٢٢٤٣ وعنوانها : شرح تشريح القانون.

وذهل الطالب المصرى حينما وقع على القسم المكرس لتشريح تجاويف القلب والدورة الدموية، لأنها تتطابق تماماً مع معارف القرن العشرين على رغم أنها مكتوبة فى القرن الثالث عشر.

(١) أندريا فيزاليوس A. Vesalius (١٥١٤ - ١٥٦٤م) أستاذ التشريح فى جامعة بادوفا. درس اللغة العربية على

الجاحم عازار دو فرايبورج. ونشر كتابه الشهير «بنية الجسم الإنسانى» De Humani Corporis Fabrica.

(٢) قطاية - ابن النفيس ص ٧٥

(٣) محبى الدين سيد أحمد التطاوى من مواليد ٧ أكتوبر ١٨٩٦م فى محلة منوف، درس فى مدرسة الجميزة بطنطا

والقاهرة، وفى عام ١٩١٨م حصل على شهادة البكالوريا وكان ترتيبه ١٢٥، وفى عام ١٩١٩-١٨ درس فى مدرسة الهندسة العليا فى الجيزة، وسافر لدراسة الطب فى برلين عام ١٩٢٠، وأنهى دراسته صيف عام ١٩٢٣ فى جامعة البيرلودفج فى فرايبورج. وقدم أطروحة للجامعة المذكورة عام ١٩٢٤م. وعاد إلى مصر وعمل فى وزارة الصحة، وتوفى عام ١٩٤٥ أثناء مكافحته لوباء التيفوس.

ولقد أثار ذلك اهتمام الباحثين، وعرف الجميع حينذاك أن سرفيتوس ومن بعده هارفى كانوا سراقا لهذه المعلومات من ترجمة ألباجو وما تبعها من كتب.

وكانت أطروحة التطاوى لنيل درجة الدكتوراه فى فرايبورج سنة ١٩٢٤م بعنوان الدورة الرئوية تبعاً للقرشى : Der Lungenkreislauf nach El Korashi.

ولقد أرسلت الأطروحة إلى ماكس مايرهوف بالقاهرة، لعلمه باللغة العربية فأيد مايرهوف ما جاء فى الأطروحة، ونقل تفاصيل الحدث إلى جورج سارتون، مؤرخ العلوم الأمريكى الشهير (البلجيكى الأصل) فأدرج الخبر فى مقدمة كتابه :

ويقول مايرهوف : «إن ما أذهلنى هو مشابهة، لا بل مماثلة بعض الجمل الأساسية فى كلمات سرفيتوس، لأقوال ابن النفيس كانت ترجمت ترجمة حرفية « أى إن سرفيتوس، وهو رجل دين متحرر لا طبيب، وقد ذكر الدورة الدموية فى الرئة بلغة ابن النفيس الذى عاش قبله بمايزيد على القرن ونصف. ويقول الدوميلي^(١) : « وينبغى أن نستخلص من ذلك أن هذا الطبيب العربى (أى ابن النفيس)، الذى لم يستطع ولم يرد (كما قال ذلك صراحة) أن يزاوَل التشريح، قد استطاع أن يكشف عن هذه الدورة الدموية الصغيرة، التى لم يوفق جالينوس فى إثباتها، وذلك بمجرد أعمال الفكر فيما عرضه العالم اليونانى. وعلى رغم اعتراف الدوميلي بسبق ابن النفيس، إلا إن تعصبه أعماه فأراد أن يؤكد عدم قيام ابن النفيس بالتشريح العملى وأنه مجرد تفكير وتدارس لما عرضه جالينوس. عموماً ابن النفيس - سواء قام بالتشريح أم لم يقم به - فإنه على رغم كل شئ، هو صاحب السبق فى اكتشاف الدورة الدموية الصغرى.

مؤلفات ابن النفيس

ذكر الباحثون عدداً من مؤلفات ابن النفيس^(٢)، وإن كان يظن أن له من المؤلفات أكثر مما وصلنا منها. ويقول السامرائى: قد يكون الذى فقد منها أكبر حجماً فصعب استنساخه كما صعب حمله والإبقاء عليه، وفيما يلى نسرّد قائمة بكتبه ومؤلفاته كما وردت فى المؤلفات العديدة عن ابن النفيس :

١- شرح تشريح القانون

وهو شرح تشريح ابن سينا، وعلى رغم أنه من أهم كتب ابن النفيس، إلا إنه لم يكن له الصيت الذى يستحقه من لدن الأطباء العرب. ويحتمل أن يكون ذلك السبب كون الكتاب فى موضوع من العلوم الأساسية التى لا يعمل الأطباء إلى قراءتها^(٣)، أو لأن فيه نقداً على جالينوس وابن سينا اللذين كانا إلى ذلك الوقت يتعمنان بالحصانة الأدبية والعلمية ضد مايشين اسميهما.

(١) الدوميلي ص ٣٢٣.

(٢) غليونجى - ابن النفيس ص ١٠٠-١٠٤، السامرائى ٢/٧٣-٧٦ قطاية- ابن النفيس ٨١-٨٣، الدوميلي ص ٣٢٦-

٣٢٧ أحمد عيسى - معجم الأطباء ٢٩٢-٢٩٦، وغيرهم.

(٣) السامرائى ٢/٧٥.

وتنبع قيمة الكتاب العلمية من أمور ثلاثة : أولها وصفه لعمله المبتكر فى اكتشاف الدورة الدموية فى الرئة. وثانيهما اكتشاف أن عضلة القلب تتغذى من الأوعية الدموية المبتوثة فى داخلها لا من الدم الموجود فى أجوافه. وثالثهما معرفتنا من الكتاب بثقة المؤلف العظيمة بنفسه ونقده أعظم طبيبين عرفهما العرب إلى ذلك الوقت، وهما جالينوس وابن سينا^(١).

وقد قدم ماكس مايرهوف نص الكتاب والترجمة لسبع قطع منه تتعلق بالدورة الدموية، وذلك فى بحثه :

Ibn an-Nafis und seine Theorie des Lungenkreislaufs (Berlin, Quellen u. Studien Z. Gesch. d. Nat. u. Med. IV, 1935, p. 37).

ويقول ابن النفيس فى مقدمة «شرح التشريح» : «وأما منافع كل عضو من الأعضاء فإنما فى تعرفها ما يقتضيه النظر المحقق، والبحث المستقيم ولا علينا وافق ذلك رأى من تقدمنا أو خالفه». وكانت فلسفته فى التشريح هى الفلسفة الغائية، أى أن لكل مخلوق حكمة إلهية فى خلقته، قد يستطيع العقل الإنسانى أن يدركها وقد لا يستطيع. فليس الوجود عبثاً، فيقول: «ولولا ذلك لكان هذا الوجود عبثاً وهو محال».

وتتضمن مقدمة الكتاب خمسة بحوث فى (فن) التشريح نثبتها فيما يلى بتعابير ابن النفيس :

البحث الأول: فى اختلاف الحيوانات فى الأعضاء.

البحث الثانى: فى فوائد (قواعد) علم التشريح.

البحث الثالث: فى إثبات منافع الأعضاء.

البحث الرابع: فى المبادئ التى يستخرج بها العلم لمنافع الأعضاء بطريق التشريح.

البحث الخامس: فى ماهية التشريح وآلاته.

ولكتاب شرح تشريح القانون مخطوطة فى الأسكوريال، وبرلين، وأستانبول وباريس، وطهران، والموصل، وكاليفورنيا، ومكتبة ولكم بلندن. وربما كانت أكملها وأفضلها جميعاً هى المخطوطة الأخيرة، وهى موضوعة ضمن مخطوطة شرح القانون.

٢- شرح القانون

وقد وصفه ابن النفيس كما يلى :

شرح التشريح: ويجمع تشريح الكتاب الأول والثالث من القانون

وشرح الأقربازين: ويجمع الأدوية المفردة والمعالجة.

وشرح الأمراض المختصة بالأعضاء من الرأس إلى القدم.

وشرح الأمراض غير المختصة بعضو من الأعضاء (كالحميات).

(١) السامرائى ٧٥/٢.

وقيل: إن هذا الكتاب بعشرين مجلداً، قسم منه بمكتبة أكاديمية نيويورك، ومجلس شورى ملي، وويلكم والمتحف العراقي. ونسخة معهد الويلكم هي الوحيدة التي تحتوى على شرح التشريح. وقد قيل: شرح القانون في عشرين مجلداً شرحاً، حل فيه المواضع الحكمية، ورتب فيه القياسات المنطقية، وبين فيه الإشكالات الطبية، ولم يسبق إلى هذا الشرح، لأن قصارى كل من شرحه أن يقتصر على الكليات إلى نبض الحبالى ولا يجرى فيه ذكر الطب إلا نادراً^(١).

٣- موجز القانون، أو الموجز فى الطب كما يسمى أحياناً. وهو اختصار لقانون ابن سينا فى الطب، ما سوى قسم التشريح ووظائف الأعضاء، مما جعله سهل الحمل والقراءة، فانتشر بين القراء وحل محل القانون لدى طلبة العلم، وصار موضع تعليق واهتمام كثير من الأطباء. وتوجد عدة موجزات للقانون، أشهرها وأفضلها: موجز ابن النفيس. وتوجد طبقات شرقية كثيرة لهذا الكتاب، كما توجد شروح له، منها شرح أبى اسحاق ابراهيم بن محمد الحكيم (ت ٦٩٠هـ / ١٢٩١م) الذى توفي بعد ثلاث سنوات من وفاة ابن النفيس واختصره جمال الدين محمد بن محمد الأقصرائى (ت ٧٩٤هـ / ١٣٩٨م) بكتابه الذى سماه حل الموجز، وشرحه ابن عوض الكرماتى (أتمه سنة ١٤٣٣م) فى كتابه المسمى: شرح الموجز، وهو من أفضل الشروح. وكذلك الشرح المغنى لسيد الدين الكازرونى^(٢).

وهناك تعليقات أخرى على الكتاب كان آخرها لمحمد بن أحمد الأقساطى المولود سنة ٨١٠هـ / ١٤٠٧م. وقد ترجم كتاب موجز القانون الى التركية والعبرية والإنجليزية وطبع فى كلكتا سنة ١٢٤٤هـ / ١٨٢٨م، وطبع على الحجر فى طهران ثم فى لكنو سنة ١٩٠٦م.

٤- شرح مفردات القانون

وهو جزء من شرح القانون. ومخطوطته موجودة فى أياصوفيا.

٥- المختار من الأغذية

ويتكلم فيه المؤلف عن الغذاء فى الأمراض الحادة، ومخطوطته بمكتبة برلين.

٦- شرح فصول أبقراط

أصل هذا الكتاب لأبقراط الذى كان يعجب به ابن النفيس، فاعتنى بشرحه، ومخطوطته بمكتبة أياصوفيا، وجوته ودار الكتب المصرية. وقد طبع الكتاب بطهران سنة ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م. وهو عبارة عن كلمات وحكم ومقاطع صغيرة، يبدأ بقوله: «العمر قصير، والصناعة صعبة، والتجربة خطر...».

(١) أحمد عيسى، معجم الأطباء ٢٩٥

(٢) برهان الدين نفيس بن عوض بن حكيم المتطبب الكرماني المعروف بلقب النفيس وكان فى خدمة السلطان أونغ بك فى سمرقند وكان حياً فى ٨٤١هـ / ١٤٣٨م. وتوفى حوالى ٨٤٩هـ / ١٤٤٦م.

٧- شرح مقدمة المعرفة لأبقراط

والكتاب شرح لكلمات أبقراط، وهى عبارة عن مقدمة فى علم الأمراض، أو ما يسمى بالسريريات إذ يذكر حال المريض ولون وجهه وتعبيره، وهيئة العينين، وحركاتهما وحركات اليدين، وهيئة الجفن والعينين والأنف، ثم طريقة الاستلقاء وهيئتهما عند الصحيح والمريض.. حتى يصل إلى التعرق وصفاته وأنواعه. ثم الكلام عن الأورام وأحجامها وأنواعها إن كانت حارة وباطنة. وتوجد مخطوطة فى أياصوفيا، ونسخة فى المكتبة الوقفية بحلب (سوريا) تحت رقم: ١٧٣٦^(١).

٨- شرح المسائل الطبية لحنين بن اسحاق:

وكتاب حنين مكتوب للطلاب على شكل سؤال وجواب. ومخطوطته بمكتبة لا يدن.

٩- تعليق على كتاب الأوبئة لأبقراط

لعله هو شرح ابينيشيا لأبقراط وتفسير الأمراض الوافدة.

١٠- شرح تشريح جالينوس

ويحتوى على نقد آراء جالينوس فى التشريح ويشك فى تبعيته لابن النفيس-منه نسخة فى أياصوفيا.

١١- تفاسير العلل وأسباب الأمراض

١٢- كتاب الشامل فى الصناعة الطبية

وهو موسوعة وضعها المؤلف على غرار كتاب الحاوى فى الطب للرازى، إلا أنه أكبر حجما. وقد ذكر خليل بن أبيك الصفدى، فى كتابه «الوافى بالوفيات»: أن ابن النفيس صنف كتاب: «الشامل فى الطب» يدل فهرسته على أنه يكون فى ثلاثمائة سفر... ويبض منها ثمانين سفرا، وهى الآن وقف بالبيمارستان المنصورى بالقاهرة.

وذكر دكتور سلمان قطاية أن الدكتور نقولا هير قام بدراسة شيقة فى هذا الكتاب، فنشر مقالا للتعريف بمحتوياته والإرشاد إلى بعض مخطوطاته فى دور الكتب، كما أجرى الدكتور البير زكى اسكندر دراسة عن هذا الكتاب ساهم بها فى المؤتمر الثانى للطب الإسلامى فى الكويت سنة ١٩٨٢م.

ويعزو ابن النفيس نجاح العمليات الجراحية إلى العناية التامة بثلاث مراحل: المرحلة الأولى ويسمىها «وقت الإعطاء»، وفيها يتعرف الجراح موضع العلة، وتسمى بهذا الاسم لأن المريض يعطى الجراح، أى يسلمه يده للتعرف فيه كيف يشاء، أما المرحلة الثانية فيسمىها «وقت العمل» وفيها يقوم الجراح، بإصلاح ما فسد من أعضاء البدن. والمرحلة الثالثة «وقت الحفظ وتشير إلى الوقت الذى يعقب الجراحة. ويجب أن يحافظ المريض فى هذا الوقت على نفسه، كما يجب أن يحافظ من حوله من المعرضين والخدم على حالته الصحية التى تركها عليه الجراح، فيتم له الشفاء إن شاء الله تعالى.

(١) قطاية - ابن النفيس ١٠٣.

ويسجل ابن النفيس في كل من هذه المراحل الثلاث وصفاً دقيقاً لكل من واجبات الجراح والمريض والمرضين له. كما يسجل طرق استخدام وحفظ الآلات الجراحية وغيرها مما تستلزمه الجراحة والعلاج^(١).

١٣- كتاب المذهب في الكحل المجرب

وقد عرض الدكتور سلمان قطاية^(٢). هذا الكتاب، وما أضافه من جديد إلى العلم في ذلك الوقت، وما صحح به ابن النفيس أخطاء الآخرين، مما يعد مقخرة لابن النفيس فقط، بل لعلماء المسلمين جميعاً.

وفي عرضه للكتاب ولإسهامات ابن النفيس في تشريح العين، يقول الدكتور قطاية: يتألف المذهب من نمطين: يحتوى الأول على خمسة أبواب تتناول التشريح والفسولوجيا، وعلم السرريات. بينما يتكون النمط الثاني من سبع جمل تتناول أمراض العين طبقة طبقة، ومنطقة منطقة. وقد اكتشف الدكتور قطاية^(٣) بعض الحقائق العلمية التي لم يتطرق إليها أحد، منها:

(أ) "ينتقد ابن النفيس ادعاء ابن سينا بأن وراء المقلة عضلة تدعم العصب المجوفة" (العصب البصرى) فيقول ابن النفيس: «إن هذا جزاف إن هذه العضلة غير ملاقية للعصب النورى البتة، إذ هى وراء الطبقة الصلبة».

ويعلق الدكتور قطاية: والواقع أن التشريح الحديث قد أثبت عدم وجود هذه العضلة إلا فى بعض الحيوانات، وهذا دليل على أن ابن النفيس شرح الإنسان وليس الحيوان.

(ب) كان بعض الأطباء يعتقد أن العصب الشمى ليس عصباً بل امتداد للدماغ ولا أهمية فسيولوجية له. أمثال على بن عيسى (ت ١٠١٠م) النصرانى فى كتابه «تذكرة الكحالين». ويصحح ابن النفيس هذا الخطأ فيقول: "الشم يتم بالزائدتين الشبيهتين بحلمتى الثدى. اللتين فى مقدمة الدماغ، وهما أصلب من الدماغ، وألين من العصب".

(ج) صحح ابن النفيس خطأ تشريحياً هاماً وقع فيه جالينوس وكل من نقل عنه. كان جالينوس يقول بأن العصبين البصريين لا يتقاطعان بل يتلامسان، ولكن ابن النفيس استدرك هذا الخطأ فقال: "إن العصبين متقاطعتان بحيث تنفذ اليمنى منهما إلى العين اليسرى، واليسرى إلى العين اليمنى، وجالينوس يعتقد خلاف ذلك، وأن العصبين لا تتقاطعان بل تتلاقيان، وينبعث كل واحد منهما عند

(١) قطاية - ابن النفيس ٩٢

(٢) قطاية - ابن النفيس ١١١ - ١١٤

(٣) نفس المصدر ١١٢

موضع التلاقي حتى يكون هناك موضع مشترك لتجويها ثم يتفارقان فتذهب كل واحدة منهما إلى العين المحاذية لميدته، وهذا هو الرأي المشهور، وبه يقول الشيخ (أى ابن سينا) أيضاً، وفي الحقيقة أنه ليس كذلك.”

(د) وفي معالجة الكاتاركت^(١) يقول ابن النفيس: «يخرج فيها الماء وذلك بأن يكون المدح مجوفاً، فإذا حصل الثقب الذى فى رأس المدح فى الماء، أمر (الطبيب) الخادم بالمص، وهو يشاهد الحدقة، فإذا نقيت أمر بإبطال المص، ويضيف قائلاً: «وهذه الطريقة لاشك أنها أجود الطرق».

١٤- المختصر فى السيرة النبوية

١٥- الوريقات فى علم المنطق

وهو مختصر لما قاله أرسطو فى المنطق.

١٦- شرح طبيعة الانسان لأبقراط.

١٧- الرسالة الكاملية

ويعرف أيضاً باسم: «رسالة فاضل بن ناطق، وكامل اسم بطل القصة، وفاضل بن ناطق هو الراوية. وكان الفيلسوف الأندلسى ابن طفيل (بداية القرن الثالث عشر ميلادى) قد كتب رسالة «حى بن يقظان» انتهت فيها إلى الصوفية. وفى الأخبار^(٢) أن ابن النفيس كتب كتاباً صغيراً عارض به رسالة حى بن يقظان لابن سينا ووسمه بكتاب فاضل بن ناطق وانتصر فيه لمذهب أهل الإسلام وآرائهم فى النبوات والشرائع والبعث الجثمانى وخراب العالم ولقد أبدع فيها ودل ذلك على قدرته وصحة ذهنه وتمكنه من العلوم العقلية.

وقد حقق الرسالة الكاملية ما يرهوف وشاخت عن مخطوطة دار الكتب فى القاهرة، ومخطوطة المكتبة السليمانية باستامبول، ونشرتها جامعة أوكسفورد سنة ١٩٦٨م تحت اسم:

Theologus Autodidactus

وتتضمن الرسالة أربعة فنون:

الفن الأول: فى كيفية تكون هذا الإنسان المسمى بكامل وكيفية وصوله إلى تعرف العلوم والنبوات.

(١) الكتاركت كلمة يونانية تعنى سقوط الماء أو الشلال. والسبب فى ذلك أن المريض فى بداية الداء يرى نقاطاً بيضاء تزداد مع كثرة الأيام، وتتكون من فوق إلى تحت فهى تشبه سقوط الماء والشلال. قطاية - ابن النفيس ص ١١٣.

(٢) أحمد عيسى - معجم الأطباء، ٢٩٤.

الفن الثاني: فى كيفية وصوله إلى تعرف السيرة النبوية.

الفن الثالث: فى كيفية وصوله إلى تعرف السنن الشرعية.

الفن الرابع: فى كيفية وصوله إلى معرفة الحوادث التى تكون بعد وفاة خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

وقد ألقى الدكتور أبو شادى الروبى محاضرة فى هذا الموضوع فى المؤتمر الثانى للطب الإسلامى بالكويت سنة ١٩٨٢^(١).



(١) أبو شادى الروبى - ابن النفيس فيلسوفا ص ٢٢٥ - ٢٣٤